الخط العربي والمداد: من المجهول إلى الخلود.

أ. محمد مسعود محمد أبو سالم جامعة المنصورة – مصر

مشكلة الدراسة، وهدف البحث وأهميته:

أصل الخط العربي مشكلة في التاريخ معقدة، تناولها بعض المؤرخين بالرواية تارة، وبالتخمين تارة أخرى، ويرجع ذلك إلى تاريخ الشعب العربي في الجاهلية وعلاقته آنذاك بالشعوب الأخرى من حوله، فهم لم يقيدوا كتابا إلا نتفا يسيرة جدا أثبتها الشعراء في قصيدهم، وتناقلها الرواة محرفة ومزيدة على مر الأجيال إلى أن جاءت إلينا غامضة متناقضة، وجاء البحث لتناول القضايا التالية: نشأة الخطوط والكتابة، نقوش الخط العربي الأولى، خط سير الخط العربي، الخطوط العربية في ما قبل الإسلام: الأبجدية العربية بالخط المسند، بداية الخط العربي وجودته في حمير دولة التبابعة، الفرق بين الخط المسند والخط العربي، أثر اليهود والنصارى في تعليم العرب الخط، الخط في البيئة الصحراوية البدائية، أول من كتب بالحرف العربي، انتشار الخط العربي، أقلام الخط العربي وتطوره، صورة الحركات قبل التشكيل، النقط والشكل، ترتيب الحروف، خصائص الخط العربي وإشكالياته، كتابة الأرقام، عناية الملوك والأمراء بتطوره، أثر الخط في كتابة المصحف وحياة المسلمين، مشاهير الخط العربي، العوامل المؤثرة في الخط واللغة، أثر الأمم الأخرى في الخط العربي، الخط العربي وأثره في الأمازيغية، أثر الخط العربي في الخط الحبشي، أثر الخط العربي في السواحيلية الزنجبارية، المطابع العربية وأثرها على الحرف العربي، الحواسيب والأبجدية العربية، استحداث البرنامج الطباعي الحاسوبي لكتابة لغات الشعوب الإسلامية وتوفير دليل لاستخدامه، أثر التكنولوجيا على الخط العربي، دعوات إصلاح الخط العربي، ثم انتهى البحث بذكر نماذج وثائقية للدلالة على تطور الكتابة العربية وتأثيرها وتأثرها بأحرف اللغات الأخرى مع دراسة دبلوماتيكية لبعضها، لأنه مما لا شك أن قراءة اللغة المُحرر بها الوثائق والسجلات موضوع الدراسة بعد كتابتها بكل هذه السنين رُبما تصدمنا؛ لغرابتها وبُعدها عنا، فأساليبها قد تكون طريفة أحياناً، أو مُلتبسة أحياناً أخرى، ورُبما كان هذا راجعاً إلى قلة عدد المتعلمين في الأقطار العربية، علاوة على أن بعضهم غير عرب؛ مما أثر في مُفردات اللغة المنطوقة والمكتوبة، وأن إجادة اللغة اللغات الأجنبية لا العربية كان ضرورة من ضرورات التوظيف في الوظائف الحكومية في مصر، وغالباً لا يوجد مُراجعاً لتلك الوثائق والسجلات لا في مصر ولا عُمان إلا في القليل النادر.

وتضمنت الوثائق والسجلات كثيراً من الكلمات العامية بجانب الكثير من الكلمات غير العربية مثل: الزنجبارية والفارسية والتركية والإنجليزية والفرنسية بحكم تدخلها في تلك الدول، ومن ثم التداخل الثقافي فيما بينهم، ودونت هذه الكلمات بالأحرف العربية أحياناً وأحياناً أخري بالأحرف اللاتينية، ثم التعرف على كُتاب تلك الوثائق والسجلات والخصائص اللغوية التي حفلت بها تلك الأوراق، وعلامات الترقيم والشكل، واستخدام الآيات القرآنية والأدعية والألقاب، والخطوط المُستخدمة وصيغ التلحيق وطرق استخدام الأرقام والتأريخ، وبما أن تلك الوثائق والسجلات مُنبثقة في الأساس من علم الفقه والشروط الإسلامي ثم القواعد والبروتوكولات الإدارية، فكان كل ما يعني من كتبوا أو أملوا تلك المُحررات مُراعاة الأمور الفقهية والإدارية وانضباطها، ولا يعنيهم اللغة ورسمها وشكلها وقواعدها، وكذلك رصد أثر غير العرب في لغة ومعتقدات العرب سابقا، كذلك رصد تأثير العالة الوافدة من شتات الأرض بشكل ملحوظ في لغة وثقافة العرب مما ينذر بالخطر.

وعلى الرُغم من عدم إلمام كُتاب الوثائق والسجلات بقواعد اللُغة العربية في الرسم، بالإضافة إلى عدم الإلمام بقواعد النحو؛ لأن هؤلاء الكتبة كانوا من أنصاف المُتعلمين أو غير العرب؛ مما جعلهم يرسمون ما يُنطق كما هو، دون مُراعاة لقواعد الرسم أو النحو، إلا أن هذا الجانب مع ما فيه من عوار قد سَجل لنا - بطريقة غير مقصودة- اللغة المنطوقة لذلك العصر، والتي حجبها عنا الرسم الصحيح للغة[1].

وقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، وذلك من خلال **مُراجعة المصادر الأولية والثانوية ونقدها،** مع المُلاحظة التحليلية الناقدة لتلك للمصادر، وصياغة الفروض، بالإضافة للمُقابلات الشخصية لشخصيات أثرت البحث، بجانب المنهج الوثائقي الدبلوماتي لاستخدامات الحرف العربي وأثره وتأثره بالأحرف الأخرى، وذلك من خلال الوثائق المُدرجة بملاحق الدراسة التي وفق الباحث في الحصول عليها.

---

1 شلقامي، علاء.(2003م). لغة البرديات في مصر، ج1، دار فرحة للنشر والتوزيع: القاهرة، ص42، وأنظر: دار الوثائق المصرية، سجل1؛ ج1 صادر الدواوين والأقاليم بوابورات البوستة الخديوية: ص178.

نشأة الخطوط والكتابة:

للعلماء الذين اشتغلوا في موضوع نشوء الخط عند البشر، والقلم الأول الذي تفرعت منه سائر الأقلام، نظريات في تأريخ الكتابة وظهورها، وفي المراحل التي مَرَّت عليها منذ عهد الكتابة الصورية "Pictography" حتى وصولها إلى مرحلة الحروف، ومع مرور هذه النظريات بمناقشات وبحوث، وعلى الرغم من ذلك فإن ما وصل إلينا من نماذج كتابية أثرية، لا يكفي لإبداء رأي مقبول أو قاطع في أصل الخط ومنشئه، وفي الأمة التي أوجدته، ولا يُعتقد أن في إمكان أحد القطع في ذلك، ما لم يعثر المنقبون في المستقبل على نماذج غير معروفة تكون كافية لإبداء رأي علمي في هذا الموضوع، واختراع الكتابة من الاختراعات الكبرى التي غيرت مجرى البشر، وهو اختراع لا يقل أهميته عن أعظم الاختراعات والاكتشافات والمغامرات التي قام بها الإنسان منذ يومه الأول[1].

ومع ذلك ذُكر أن أول من وضع الكتابة في العالم عرب اليمن، وعنهم أخذ الفينيقيون الذين هم من عرب البحرين وما جاورها، وعنهم أخذ اليونان، والكتابة وقعت بالتدريج؛ حيث كانت في البداية صورًا تامة، فإذا أريد التعبير عن الأكل مثلاً رسم الكاتب صورة رجل يأكل، وإذا أُريد التعبير عن النوم رسم صورة رجل نائم على فراشه، وإذا كانت العبارة عن الضرب رسم رجلاً يضرب رجلاً آخر وهلم جرًّا، وهذا الخط التصويري الذي يسمى بالهيروغليفي في مصر وبالمساري في العراق والذي منه آثار عند قدماء سكان أمريكا قد مست الحاجة إلى اختصاره، وفي الصين لا يزال التصوير غالبًا على الخط، وفي عهد الكتابة بالصور إذا أرادوا ذكر العين، صوروها كما هي أي هكذا (.) ثم عندما أرادوا الكتابة بالإشارات المختصرة عن الصورة جعلوا حرف العين بصورة العين الباصرة فجلعوا حرف العين هكذا (5 أو ع)، وعند الرجوع إلى حفريات الإنكليز والأمريكيين الحديثة في (أرز) الكلدانية وجد أن مدينة بابل كانت زاخرة مستبحرة العمران قبل المسيح بأربعة آلاف سنة، ووجدت في بابل أسماء (حمورابي) و (عميصادق) وهي الأسماء نفسها التي وجدت في اليمن بلفظ (عمي رافع) و (عمي صادق) ولكنها حرفت في بابل قليلاً، ومن هذا وغيره استدل علماء الآثار على أن أصل المدنية البابلية هو من اليمن، وأما (الألف باء) (Alphabet) فقد وجدت في اليمن وقبل المسيح بألفي سنة، هذا هو رأي المحققين الذي عوَّلوا عليه بعد أن كان العلماء يظنون أن الفينيقيين هم الذين سبقوا الأمم كلها إلى الكتابة، ولعل الذي حمل علماء أوربا على نسبة إيجاد الكتابة إلى الفينيقيين هو كون اليونان أخذوا الكتابة عن هؤلاء، وناقل الكتابة من الفينيقيين إلى اليونان رجلاً اسمه (قدموس) ومعناه (شرقي)، فاليونان يعلمون أن الكتابة وصلت إليهم من الشرق، ثم نشروها في الغرب، وكان اليونان يكتبون نظير الشرقيين من اليمين إلى الشمال، ولم يكتبوا من الشمال إلى اليمين إلا فيما بعد، ولم يكن عندهم بادئ ذي بدء سوى عشرين حرفًا، ثم زادوا عليها، وأما الخط الأقدم وهو المسند الذي هو أصل الخطوط كلها فهو ثلاثة أنوع، وكلها كانت حروفها منفصلة كالحروف الإفرنجية، وهذه الأنواع الثلاثة هي: الخط اللحياني والثمودي والصفاءلي (نسبة إلى حرَّة الصفاة التي وُجدت فيها كتابات بهذا الخط)، ووجدت خطوط سبائية بين الكتابات اليونانية التي وُجدت هناك، والخط الثمودي هو قبل السبآءلي، وهو والصفاءلي مختصران من المسند، ومن هذه الخطوط جاء الخط النبطي الذي هو أول خط وُصلت فيه الحروف بعضها ببعض (Cursive)[2].

وأصول الْكِتَابَةِ اثْنَيْ عَشَرَ عَلَى مَا قَالَه ابن خلكان، وتبِعَه كثِير من المؤلفين، كالدميرِي فِي حَيَاةِ الحيوان، وَالحلبِي فِي السِّيرَةِ وَغَيْرِهِمَا، أي أَنَّ جَمِيعَ كِتَابَاتِ الْأُمَمِ مِنْ سُكَّانِ الْمَشْرِقِ والمغرب اثْنَتَي عشْرَةَ كِتَابَة، خَمس مِنها ذهب منْ يَعْرِفها وبطل اسْتِعْمَالُهَا وَهِيَ: الحِميرِية، وَالقِبطِية، والبَربرِية، والأندلسية، واليونَانِية، وَثَلَاثٌ مِنْهَا فُقِدَ مَنْ يَعْرِفُهَا فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَمُسْتَعْمَلَةٌ فِي بِلَادِهَا، وَهِيَ السريانِية والفارسية والْعِبْرَانِية والعربية، وَالحميرِية: هِيَ خَطُّ أَهْلِ الْيَمَنِ قَوْمِ هُودٍ وَهُمْ عَادٌ الْأُولَى، وَهِيَ عَادُ إِرَمَ، وَكَانَتْ كِتَابتهم تُسَمَّى الْمُسْنَدَ الْحِميرِي، وَكَانَتْ حُرُوفُهَا كُلُّهَا مُنْفَصِلَةً، وَكَانُوا يَمْنَعُونَ الْعَامَّةَ مِنْ تَعَلُّمِهَا فَلَا يتعاطاها أَحَدٌ إلا بإذنهم، والْقَلَمُ الْمُسْنَدُ، هُوَ الْقَلَمُ الْأَوَّلُ مِنْ أَقلام حِميرَ وَمُلُوكِ عَاد، وَالمعرُوفُ الْآن أن الحروف الْمُسْتَعْمَلَةَ فِي الْكِتَابَةِ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ اللُّغَاتِ المنطوقِ بِهَا هِيَ ثَلَاثة فقط، الْخَطُّ العربِي بِحُرُوفِ أَلِفِ بَاءٍ وَبِهَا لُغَاتُ الشرقِ، وَالحروفُ اللَّاتِينِية وَبِهَا لُغَاتُ أُورُوبَّا وَالحروف الصينِية، وَالْأَمهرِية حَرف قَرِيبٍ مِنَ اللاتِينِي، أما اللغات، وهي فوق ألفي لُغة[3].

---

[1] علي، جواد.(2001م). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، ج15، دار الساقي: القاهرة، ص144، 149.

[2] أرسلان، شكيب.(د.ت). مجلة المنار، ج30، د.ن: د.م، ص128.

[3] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني. (1995م). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج9، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ص23.

والخط لسان اليد، وما من أمر إلا والكتابة موكل به مدبر له ومعبر عنه، وبه ظهرت خاصة النوع الإنساني من القوة إلى الفعل وامتاز به عن سائر الحيوانات، وقيل: الخط أفضل من اللفظ لأن اللفظ يفهم الحاضر فقط والخط يفهم الحاضر والغائب وفضائله متعددة، وضبط أحواله مما اعتنى به العلماء كالخطوط والنقوش الدالة على الألفاظ فبحثوا عن أحوال الكتابة الثابتة نقوشها على وجه كل زمان وحركاتها وسكناتها ونقطها وشكلها وضوابطها من شداتها ومداتها وعن تركيبها وتسطيرها لينتقل منها الناظرون إلى الألفاظ والحروف ومنها إلى المعاني الحاصلة في الأذهان[1]، والكتابة في أحسن أحوالها محاولة للتعبير عن اللغة في واقعها الصوتي، وهذه المحاولة دقيقة أحيانًا وغير دقيقة في أكثر الأحيان، وهي محاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، فاللغة تسمع بالأذن والكتابة ترى بالعين، والكتابة محاولة لترجمة الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، وهي محاولة لنقل اللغة من بعدها الزماني إلى البعد المكاني، فالظواهر الصوتية تتتابع في الزمن والحروف المكتوبة تتتابع في المكان، وعلينا أن نميز دائمًا بين الطبيعة الصوتية للغة وكيفية تدوين هذه اللغة[2].

والخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية، وهو رسوم وأشكال حرفيّة تدلّ على الكلمات المسموعة الدّالّة على ما في النّفس، فهو ثاني رتبة من الدّلالة اللّغويّة وهو صناعة شريفة، وهي تطلع على ما في الضّمائر وتتأدّى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة فتقضي الحاجات، ويطّلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأوّلين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم، وهي إنّما تكون بالتّعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتّناغي في الكمالات والطّلب؛ لذلك تكون جودة الخطّ في المدينة إذ هو من جملة الصّنائع، وأنّها تابعة للعمران ولهذا نجد أكثر البدو أمّيّين لا يكتبون ولا يقرءون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطّه قاصرا أو قراءته غير نافذة، وتعليم الخطّ في الأمصار الخارج عمرانها عن الحدّ أبلغ وأحسن وأسهل طريقا لاستحكام الصّنعة فيها[3]، وفي العموم فالكتابة (نظام تتحقق به الحروف) والخط (نظام يتحقق به رسم الحروف)[4].

وعلى الرغم من أن العربية الشمالية آخر اللغات السامية تدويناً إلا أنها احتفظت بجل خصائص اللغة السامية الأم، كالإعراب الذي اختفي من كل اللغات السامية باستثناء الأكادية، واللغة السامية الأم هي لغة فرضية تُوصل إليها بعلم اللغة المقارن (أي مقارنة الساميات ببعضها)، ويُعلل ذلك بسبب العزلة النسبية التي عاشتها القبائل العربية التي بقيت في الجزيرة العربية بينما تأثرت لغة القبائل السامية المهاجرة باللغات الأخرى غير السامية التي اتصلت بها وأخذت منها وأعطتها، الشيء الذي أدى إلى حدوث تغيرات لغوية أبعدتها من الأصل السامي، وهذا ما وقع للأكادية والعبرية والحبشية وغيرها، فهذه اللغات السامية ومنها الآرامية - وهي اللغة الأم للسريانية والكلدانية - كانت نشيطة قبل الإسلام، وظلت الآرامية نشيطة حتى جاء الفتح الإسلامي فأخذ يسري إليها الضعف لاتصال أهلها بالعرب، وهكذا تغلبت عليها العربية في القرن العاشر وبقيت الآرامية لغة دينية مقرها الكنيسة تقام بها الصلوات، وما زالت مستعملة في كنائس السريان والكلدان والموارنة، وكان عند السريان كتابة تدعى بالقلم الكرشوني، وهي كتابة العربية بالأحرف السريانية، وهي معروفة إلى الآن، فكأن هؤلاء قد نسبوا الجد إلى أحفاد أحفاده بزعمهم[5]، والحروف الساقطة عن ألسن الأعاجم ستة أحرف: الطاء والظاء والصاد والضاد والعين والحاء المهملتان، والمذكور في الكتب المؤلفة في اللغة الفارسية أن الأحرف الساقطة هي: ثا وحا وصاد وطا وظا وعين وقاف، ومع هذا فالأمر مبني على الشائع الغالب وإلّا فبعض هذه الأحرف موجود في بعض كلماتهم كما لا يخفي على المتتبع[6]، ونتيجة لغياب النقط والشكل فإن بعض الْأُمَم الْمُتَقَدّمَة فِي الْعُلُوم والمعارف يحْتَاج الْمَرْء بعد تعلم خطها أَن يتَعَلَّم قِرَاءَة جلّ الْكَلِمَات الَّتِي فِي لغتهم كلمة كلمة حَتَّى يَتَيَسَّر لَهُ بعد ذَلِك أَن يقْرَأ فِي كتبهمْ قِرَاءَة خَالِيَة من الشوائب، وَمِمَّا يستغرب أَن الْأُمَم الغربية مَعَ اتِّفَاقهم فِي صور الْحُرُوف الهجائية قد اخْتلفُوا فِي لفظ كثير مِنْهَا، فكثيرا من الْأَلْفَاظ إِذا كتبت بحروفهم يقْرؤهَا كل فريق مِنْهُم على وَجه يُخَالف غَيره، وعَلى ذَلِك فَلَا يستغرب اخْتِلَافهمْ فِي أَسمَاء كثير من المدن وَنَحْوهَا، وَنَشأ من ذَلِك أَن صَار أغلب الْأَلْفَاظ المصورة بحروفهم إِذا كَانَ من اللُّغَات الغربية عِنْدهم كالصينية والهندية والفارسية مَجْهُولا لَا يعرف كَيفَ يلفظ

---

[1] القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري.(2002م). أبجد العلوم، ط1، دار ابن حزم: القاهرة، ص386.

[2] حجازي، محمود فهمي.(د.ت). علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، ص11.

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد.(1988م). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط2، ج1، دار الفكر: بيروت، ص524.

[4] آل خطاب، إياس محمد حرب.(2011م). القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور، ط1، مطابع برنتك للطباعة والتغليف: الخرطوم، ص15.

[5] المرجع سابق، ص15.

[6] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني.(1415ه). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، ط1، ج6، دار الكتب العلمية: بيروت، ص363.

بِهِ عِنْد أَهله وَذَلِكَ أَن الَّذين تلقوا أَولا تِلْكَ الْأَلْفَاظ من العارفين بهَا قد كتبوها على مُقْتَضى اصطلاحهم فَإِذا قَرَأَهَا غَيرهم من الْأُمَم الْأُخْرَى قَرَأَهَا كل فريق مِنْهُم على مُقْتَضى اصْطِلَاحه فَنَشَأَ من ذَلِك اخْتِلَاف فِي اللَّفْظ، وَكَانَ الْوَاجِب عَلَيْهِم كَمَا اتَّفقُوا فِي صور الْحُرُوف مَعَ اخْتِلَاف لغاتهم أَن يتفقوا على مَا تدل عَلَيْهِ بِحَيْثُ إِنَّه إِذا كتبت كلمة بحروفهم أَن تكون قراءتهم لَهَا على وَجه وَاحِد[1].

وموقع البتراء كحلقة اتصال بين فلسطين وبلاد العرب وبين اليمن والآراميين مكنها من نشر الأبجدية الآرامية في بلاد اليمن، وهي الأبجدية التي نشأ منها "الخط المسند" وهو الخط الذي أخذ منه "الخط العربي" بعد تعديله، وإضافة ستة أحرف، التي تسمى الأحرف الروادف التي يجمعها قولنا: "ثخذ ضظغ"، وفي القرن الثالث اعتنقت "البتراء" المسيحية، ومن ملوك الأنباط: كان الحارث "حوالي (169 ق. م) على رأس قائمة هؤلاء الملوك، ويدعى "آرتياس Arêtes"، ويعتبر الحارث المؤسس الحقيقي لسلطة الأنباط، وهو الذي فتح الباب على مصراعيه للتأثيرات اليونانية والرومانية، وأدخل مملكته ضمن المحور التام للحضارة "الهيلينية"[2].

نقوش الخط العربي الأولى وأثر أهل الكتاب:

الخَطُّ العَرَبي، لغة: يقصد به الطريقة التي اتخذها العرب في الكتابة والتي أخذوها عن طريق الأنباط المجاورين للعرب الحجازيين، واصطلاحاً: عُرِفَ هذا الخط بعدة أسماء منها: الخَطّ الأنْباري والخَطّ الحيرى، ومع ظهور الإسلام وانتشاره خارج الحجاز عُرِفَ هذا الخط بالخط البَصْرى والخط الكوفي[3]، وعثر على كتابات في خرائب "زبد" بين قنسرين ونهر الفرات جنوب شرقي حلب, كتبت بثلاث لغات: اليونانية والسريانية والعربية, يرجع تأريخها إلى سنة (612م) و(823) للتقويم السلوقي[4]، والمهم عندنا هو النص العربي, ولا سيما قلمه العربي، أما من حيث مادته اللغوية, فإن أكثر ما ورد فيه أسماء الرجال الذين سعوا في بناء الكنيسة التي وضعت فيها الكتابة[5]، وقرأ العالم "ليدزبارسكي" الكلمة الأولى منه "بسم"، أما الكلمة الثانية, فهي "الإله" فأصبح مطلع النص: "بسم الإله", فإذا كانت القراءة هذه صحيحة, تكون لكلمة "بسم الإله" أهمية كبيرة في موضوع الفكرة الدينية، أما العالم "ليتمن" فقد قرأ الكلمة الأولى منه "بنصر", فتكون فاتحة النص: "بنصر الإله[6]"، ودومة الجندل, وبلاد الشام كانوا من النصارى, فلا يستبعد احتمال استعمال رجال الدين للقلم السرياني المتأخر, الذي كون القلم النبطي في كتابة العربية, لحاجتهم إلى الكتابة في تعليم أولاد النصارى الكتابة, وتثقيفهم ثقافة دينية, فكانوا يعلمونها في المدارس الملحقة بالكنائس, وربما نشروها في البحرين, أي: في سواحل الخليج حيث كانت هنالك جاليات نصرانية, وفي الأماكن الأخرى من جزيرة العرب التي كانت النصرانية فيها قد وجدت سبيلًا لها بينها, ولا يستبعد احتمال عثور المنقبين في المستقبل على كتابات مطمورة كتبت بهذا القلم، وتفيدنا دراسة شكل خط هذه النصوص في الوقوف على تطور الخط العربي, فبين رسم هذه الخطوط وبين رسم أقدم الخطوط العربية الإسلامية تقارب كبير, يشير إلى اشتقاق القلم الذي دوّن به الوحي من هذا القلم, وهو القلم الذي ربما كان يكتب به عرب العراق كذلك، وهو قلم وصل بين حروفه, وفصل في مواضع أخرى، وهو يختلف بذلك عن القلم المسند الذي استعمل حروفًا منفصلة فقط, ولم يعرف الحروف المتصلة, كما أن شكل حروفه بعيد عن شكل حروف هذا القلم, وهو أسهل وأسرع في الكتابة عن المسند، ويوجد بين الخط النبطي المتأخر والقلم العربي القديم تشابهًا كبيرًا في الشكل, ينبئ بوجود نسب بين القلمين, وأن القلم العربي القديم قد تولد منه، ولا يستبعد أن يكون قلم أهل الحيرة هو هذا القلم نفسه, استعملوه في تدوين العربية، واستعملتْ جملة "الخط العربي القرآني"؛ لأن القرآن هو في الواقع صاحب الفضل على هذا الخط في تخليده وتثبيته[7].

وكُتبت النقوش الثمودية والصفوية واللحيانية بخط أبجدي يقوم على أساس الخط العربي الجنوبي القديم، ورغم الاختلاف الكبير في شكل الحرف الواحد في كل مجموعة من مجموعات النقوش الكثيرة إلا أن كل هذه الأشكال تعد امتدادًا مباشرًا لشكل الحرف في الخط العربي

---

[1] السمعوني، طاهر بن صالح ابن أحمد بن موهب.(1995م). توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط1، ج2، مكتبة المطبوعات الإسلامية: حلب، ص813.

[2] الفيومي، محمد إبراهيم. (1994م). تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط4، دار الفكر العربي: القاهرة، ص116.

[3] المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.(د.ت). موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، د.ن: مصر، ص263.

[4] Grondriss, I, S. 156, E. Sachau, Eine Dreisprachige Inschrift Aus Zebed: Monatsberichte der Preussiche Akademi der Wissenschaften, Berlin 10 Febr. 1881, S. 169, Zur Trilinguis Zebedaes, in ZDMG, 36, 1882, s. 345-352.

[5] Lidzbarsky, Handbuch der nordsemit. Epigraphik, Weimar, 1898, s. 484, Ephemeris, Glessen, 1902, BD, 2, S. 35.

[6] A. Littmann, in Rivista degli Studi Orientail, 1911, p. 195.

[7] علي، جواد.(2001م). مرجع سابق، ص ص179، 180.

الجنوبي القديم، وهناك نقوش مدونة من اليمين إلى اليسار وأخرى من اليسار إلى اليمن، فاتجاه الكتابة يختلف من نقش لآخر، وهناك نقوش مكتوبة بخط المحراث boustrophedon بأن يكتب السطر الأول من اليمين إلى اليسار ثم يكتب السطر الثاني من اليسار إلى اليمن ثم يكتب السطر الثالث من اليمين إلى اليسار وهكذا، وتتفق النقوش العربية القديمة في تدوينها للصوامت مثل الباء والتاء والسين، ولكل صوت منها حرف متميز، ولكن الفرق الأساسي بين كتابة هذه النقوش والخط العربي الحالي أن هذه النقوش لا تدون الحركات الطويلة، فضلا عن عدم تدوينها للحركات القصيرة، فعندما يرد في أحد النقوش "أل" فقد يكون المقصود كلمة "آل" الدالة على الانتماء القبلي، وقد يكون المقصود كلمة "ايل" الدالة على الإله، وقد يكون المقصود حرف الجر "إلى" ومعنى هذا أنه من الصعب التعرف على النطق الكامل لأية كلمة وردت في هذه النقوش، فالحركات الطويلة ناقصة والحركات القصيرة ناقصة أيضًا، وتؤثر هذه السمة في عدم بروز أوزان كاملة، فالفرق بين وزن "فَعَلَ" ووزن "فَاعَلَ" يقتصر على وجود فتحة[1].

ونسب بعض العلماء المستشرقين العربيّة أو على الأقلّ انتشارها بين العرب إلى النصارى وأوّلهم إمامهم "دي ساسي""de Sacy" الذي أثبت استعارة العرب فنّ الكتابة من نصارى العراق وما بين النهرين، وقال الأثري فيليب برجه: "إنّ الكتابة العربيّة وجدت قبل محمّد وإنها نصرانيّة قبل أن تتحول إلى إسلاميّة"، وكذلك المستشرق "ولهوزن" أكد بأن الكتابة العربيّة شاعت أوّلاً بين النصارى، ولا سيما العباديين في الحيرة، ولم يسعوا جهداً في قول أن هذه الشواهد كافية لتثبت حقيقة أنّ الفضل الكبير في تعليم العربيّة للمسلمين يرجع لنصارى العرب، وإن لم ننكر أن لليهود أيضاً حصّة في ذلك لا سيما في المدينة كما ذكر البلاذريّ، وكذلك رووا أنّ بعض العرب كتبوا في الجاهليّة بالعبرانيّة، إلا أنّ عبرانيّة ذلك العهد هي الآراميّة أو السريانيّة كقول صاحب الأغاني عن ورقة بن نوفل "أنّه كان يكتب بالعبرانيّة من الإنجيل ما شاء"[2].

وعُثِرَ على نقوش يُسْتَأنَسُ بها على وجود شيء من التقارب بين العربية البائدة والعربية الباقية, ومن أهمها نقشان؛ أحدهما مدون على قبر صنعه كعب بن حارثة للقيض بنت عبد مناة، وهو مؤرخ سنة (262) بعد دمار مملكة النبط، وفقًا لتاريخ مدينة بصرى، أي: حوالي سنة (368م)؛ لأن حادثة تدمير المملكة النبطية وقعت سنة (106) بعد الميلاد, وبعد تحليل صورة النقش ورموزه بالعربية, وألحقت به أصوات المد أصبحت عبارته: "ذين للقيض بنت عبد مناة"، أي: هذا القبر للقيض بنت عبد مناة، والنقش الثاني هو نقش النمارة، وهو قصر صغير للروم في الحَرَّة الشرقية من جبال الدروز, وقد دُوِّنَ هذا النقش سنة (228م), في مدفن امرئ القيس بن عمرو ملك العرب، وهو من ملوك الحيرة الذين انتشر نفوذهم حتى بادية الشام, وهذا النقش على جانب من الأهمية عظيم؛ لأنه مدوّن بالخط النبطي المتأخر الذي يرتبط بعضه ببعض -خلافًا للخط النبطي القديم- فيشبه من هذه الناحية كثيرًا الخط الكوفي, والنقش يشتمل على خمسة أسطر, وبذلك لا يسعنا أن نتغافل عن أواصر القربى بين تلك اللغات، بل وجد أنها جميعًا في مناطق متقاربة، لم يبدل توالي العصور من مناطقها شيئًا، كأنما كتب عليها أن تخلد خلود الشرق مطبوعة بطابعه، منذ ظهرت في العراق الآشورية البابلية, حتى برزت في جزيرة العرب العربية الشمالية[3].

أثر اليهود في تعليم العرب الخط:

يظهر من استعمال "البلاذري" جملة: "وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية، وكان تعلمه الصبيان في بالمدينة في الزمن الأول"، أن يهود يثرب كانوا يكتبون بالعربية، كما كان يكتب بها صبيان المدينة، وكانوا يعلمون الكتابة لصبيان يثرب في مدارسهم، وفي هذا الخبر وأمثاله دلالة على أن الكتابة كانت معروفة بين أهل يثرب أيضًا قبل الإسلام، وأنها كانت قديمة فيهم، ولهذا فلا معنى لزعم من قال: إنها أنتشرب بيثرب في الإسلام، وإن الكتابة كانت قليلة بها قبل هذا العهد، وقصد أهل الأخبار بجملة "وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية، الكتابة بالخط العربي الشمالي، لا بالقلم المسند؛ لأن هذا هو مرادهم من "الكتاب العربي" و"كتاب العربية"، ويظهر أن اليهود قد تعلموا الخط العربي من عرب العراق وبلاد الشام، أو من التجار والمبشرين الذين كانوا يفدون إلى الحجاز، وأما القلم المسند، الذي هو قلم العرب الجنوبيين، فلم يكن مستعملًا في يثرب، وإلا لأشير إليه، وربما كان القلم العربي الشمالي قد دخل العربية الجنوبية أيضًا قبل الإسلام، فأخذ

---

[1] حجازي، محمود فهمى.(د.ت). مرجع سابق، ص221.

[2] شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب.(د.ت). النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، د.ن: د.م، ص70.

[3] الصالح، صبحي إبراهيم.(1960م). دراسات في فقه اللغة، ط1، دار العلم للملايين: القاهرة، ص57.

ينافس المسند فيها، ولا سيما في المناطق التي تركزت فيها النصرانية وتحكمت في أهلها، فأخذ النصارى يقاومون ذلك القلم؛ لأنه قلم الوثنية، ويعلّمون أولاد النصارى القلم العربي الشمالي؛ لأنه قلمهم الذي كانوا يعلمون به في كنائس العرب في العراق وفي دومة الجندل وبلاد الشام[1].

أول من كتب بالحرف العربية:

لا يعرف تماماً أول من كتب بالعربية، وأقدم خط عربي يعرف اليوم كتابة زيد النصرانية بتاريخ (110) سنوات قبل الهجرة، يليها كتابة حران في بلاد حوران تقدمت (54) سنة على الهجرة وهي أيضاً كتابة نصرانية، وممن يذكر أنهم عرفوا الكتابة العربية عدي بن زيد وزير النعمان أبي قابوس؛ حيث تعلم مع أولاد المرازبة الكتابة الفارسية ثم كتب لكسرى بالعربية، وممن تعلم الخط من قريش بعد ذلك بزمان أبو سفيان بن أميه وأخوه حرب بن أمية، وتعلم كذلك بشر عبد الملك الكندي الخط العربي وهو الجزم في الأنبار من مرامر واسلم الطائيين وخرج إلى مكة فتزوج الصهباء ابنة حرب بن أمية وقيل الصفية بن الحارث فعلم الخط سفيان بن حرب وتعلمه معاوية من عمه سفيان، وكثر من يكتب بمكة من قريش، وجاء الإسلام وفي العرب بضعة عشر رجلاً يكتبون بالعربية: عمر وعثمان وعلي وطلحة وعثمان وإبان ابنا سعيد وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب وأبناه يزيد ومعاوية وحاطب بن عمرو بن عبد شمس والعلاء بن الحضرمي وأبو سلمة بن عبد الأشهل وعبد الله بن أبي سرح وحويطب بن عبد العزى، وكان عبد الله ابن أبي سرح يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وروى أن خالد بن الوليد لما خرج إلى عين تمر وجدوا في كنيسة صبيانا يتعلمون الكتابة في قرية يقال لها عين تمر وكان فيهم حمران مولى عثمان بن عفان[2].

الخطوط العربية في ما قبل الإسلام: الأبجدية العربية بالخط المسند:

الجدول التالي يبين الأحرف العربية الحديثة مع ما يقابلها بخط المسند؛ حيث ظهرت أول مدونة كتبت بالأحرف العربية عام (512م)، وكانت مكتوبة بثلاث لغات وهي: اليونانية والسريانية والعربية، عثر عليها في الزبداني بسوريا، واحتوت تلك المخطوطة على (22) حرفا عربيا، (15) منها فقط كان مختلف، وتستخدم للإشارة إلى (28) حرف صوتي:

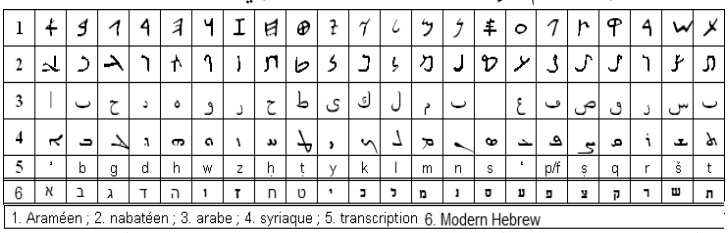

وصممت الأبجدية النبطية لكتابة (22) صوت، لكن العربية لديها (28) صوت; لذا فعند الكتابة باللغة العربية هناك (6) أحرف تظهر كل منها على حدة صوتين: د تظهر أيضا ذ ,ح تظهر أيضا خ ,ط تظهر أيضا ظ، العين تظهر أيضا غ، ص تظهر أيضا ض، ت تظهر أيضا پ، وبما أن الكتابة العربية كانت بالأصل نبطية متشابكة، فإن قراءة تلك الكتابة أصبح لها بعض الصعوبة بالفهم بسبب ترابط أحرفها، وهناك بعض الأحرف المتشابهة بالشكل كما بالجدول التالي:

ا	ب	ح	د	ه	و	ز	ح	ط	ى	ك
ʾ	b	ğ	d, ḏ	h	w	z	ḥ, ḥ	ṭ, ẓ	y	k
ل	م	ن		ع	ف	ص	ق	ر	س	ت
l	m	n		ʿ, ġ	f	ṣ, ḍ	q	r	s, š	t, ṯ

لذا فالأحرف العربية مدرجة في النظام الشامي التقليدي، ولكنها مكتوبة بأشكالها الحالية، فالأحرف المتشابهة الخلفية كحرف"ح" ينطق كحاء وخاء وجيم، وحرف الجيم له أكثر من صوت، فقد ينطق كحرف /j/ أو /g/ ، وتتغير الكثير من الحروف باختلاف وجودها داخل الكلمة، فعند وقوعها بنهاية الكلمة يكون لها شكل مختلف عن وجودها داخل الكلمة، فمثلا حروف الباء والتاء والثاء والنون والياء تكون متشابهة، ولكن الياء تتغير عند وقوعها في آخر الكلمة، كذلك الجيم والحاء والخاء، الزاي والراء، السين والشين، الصاد والضاد، الطاء والظاء، العين والغين، بعد ذلك يكون هناك فقط (17) حرفا مختلف بالشكل، حرف واحد له (5) أصوات ب ت ث ن بالإضافة إلى ي

[1] علي، جواد.(2001م). مرجع سابق، ص115.

[2] شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب.(د.ت). مرجع سابق، ص216.

في بعض الأحيان، وحرف آخر له (3) أصوات (ج ح خ)، وخمسة أحرف يعطون صوتين لكل واحد منهم، وصادقت الأبجدية العربية على شكلها الحالي التقليدي منذ بداية القرن السابع أي بداية القرن الهجري الأول[1].

وتكلم الإسماعيليين - أو العدنانيين كما يسميهم المؤرخون المسلمون - اللغة العربية التي لم تصلنا بها نقوش مكتوبة، ربما بسبب عدم وجود خط متميز لهم قبل الإسلام - كخط المسند في الجنوب - وربما لأن طبيعة السكان في الحجاز لم تكن تميل إلى الكتابة، وإن وجدت كتابات لغير الإسماعيليين في الحجاز[2]، ويرى العقاد أن مباحث اللغة إنما تقدم لنا البينة الكبرى على قرابة النبطيين لأهل الحجاز؛ ذلك لأن لغة الحجاز لم تتطور من اللغة اليمنية مباشرة، وإنما جاء التطور من العربية القديمة إلى الآشورية إلى الآرامية إلى النبطية إلى القرشية، فتقارب لغة النبط ولغة قريش من هذا السبيل، وكان التقارب بينهما في الزمان والمكان، أو في درجات التطور، ولم يكن تقاربا يقاس بالفراسخ والأميال، وكانت هذه هي البينة الكبرى من مباحث اللغة على قرابة أهل الحجاز من النبطيين، ولم تكن هذه القرابة من اختراع النسابين أو فقهاء الإسلام، ولكنها كانت قرابة الواقع التي حفظتها أسانيد اللغة والثقافة، واستخرجتها من حجارة الأحافير والكشوف الحديثة، هذا وقد أشار من قبل "مارتن شبر نجلنج" إلى ظاهرة انتقال الكتابة النبطية من منطقة مدين إلى الحجاز، وتطور الخط العربي عن الخط النبطي[3].

وكتب اللحيانيون - هم عرب شماليون - نقوشهم بالخط المعيني المسند مما يدل على أثر الجنوبيين فيهم، ولعلهم كانوا يختلطون بقوم منهم، وكتب الثموديون الذين كانوا يقيمون هم أيضًا في شمالي الحجاز وكانوا عربًا مثلهم بهذا الخط الجنوبي، الذي انتشر إلى منازل العرب في الصفا بحوران جنوبي دمشق، مما يؤكد وجود علاقة وثيقة بين هذه الأجزاء، وعرب الجنوب حين كانوا يسيطرون على طريق القوافل التجارية من القرن الثامن إلى القرن الثالث ق.م، وهو القرن الذي قامت فيه إمارة عربية في شمال الجزيرة هي إمارة النبط؛ فقد كان أهل هذه الإمارة يأخذون عن الجنوبيين تجارتهم ويحملونها بدورهم إلى الشام ومصر، واتخذوا "بترا" حاضرة لهم، هكذا ورد اسمها عند اليونان ولعله ترجمة لاسمها الذي جاء في التوراة وهو "سلع" وكانت الحجر "مدائن صالح" حاضرتهم في الجنوب؛ بينما كانت بُصْرى حاضرتهم في الشمال، ويظهر أن قبائل هؤلاء النبط كانت قد سبقت إلى الإغارة على بلاد الآراميين شمالًا؛ فتحضرت بحضارتهم واستخدمت كتابتهم الآرامية في نقوشها؛ بينما ظلت تتكلم العربية في أحاديثها اليومية؛ وبذلك وجد عند هؤلاء النبط نقوش عربية كتبت بالخط الآرامي على نحو ما وجد عند اللحيانيين والثموديين نقوش عربية كتبت بالخط المعيني المسند؛ غير أن الخط الآرامي هو الذي انتصر؛ حيث تطورت نقوشه حتى انتهت إلى الخط العربي الذي أشاعه الإسلام، والمظنون أن الأنباط لم ينزحوا من نجد إلى شمالي الحجاز؛ بل نزحوا من بادية الشام، واستطاعوا أن ينهضوا بحضارة راقية لا تزال تدل عليها آثارهم في "بترا" حاضرتهم الكبيرة، وظلت دولتهم نحو أربعة قرون[4].

وربما يكون النمو والتطور الحادث في الخط العربي جاء في الحجاز نفسها؛ حيث الحياة التجارية مزدهرة، مما جعلهم يأخذون الخط المعيني أولًا، ويتطورون به إلى خطوتهم اللحيانية والثمودية والصفوية، ثم لما ظهرت مملكة النبط واستخدمت الخط الآرامي وتطورت به، وتفرق أهلها بعد سقوطها في داخل الجزيرة وعلى طول طريق القوافل التجارية نشروا قلمهم النبطي؛ فهجر عرب الحجاز القلم المعيني وأخذوا يحاولون النفوذ من الخط النبطي إلى خطهم العربي الجديد قاطعين به ضروبا من التطور حتى أخذ شكله النهائي، وليست المسألة مسألة فرض احتمال؛ وإنما هي مسألة نقوش حملت إلى علماء الساميات الدليل الذي بنوا عليه هذا الرأي[5]، والخط العربي الذي كان مستعملا في بيئة النبي محمد وعصره، امتد وجوده إلى عشرات السنين قبل بعثته كما أنه تطور عن أشكال لخطوط أخرى استعملها عرب الشام واليمن، وكذلك فإن من الثابت علميا أن ذلك الخط كان منتشرا بمقياس غير ضيق في بلاد الشام واليمن والحجاز والعراق شمل بدو هذه البلاد ولو بمقياس ضيق[6].

---

[1] أبجدية-عربية/https://ar.wikipedia.org/wiki

[2] عمران، محمد بيومي.(د.ت). دراسات في تاريخ العرب القديم، ط2، دار المعرفة الجامعية: القاهرة، ص349.

[3] Martin Sprengling, The Alphabet, Its Rise And Development From The Sinai Inscriptions, Uje, I, P.52, 198.

[4] ضيف، أحمد شوقي عبد السلام.(د.ت). تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف: القاهرة، ص31.

[5] المرجع السابق، ص 34، 35، 37

[6] عزت، دروزة محمد.(1383هـ). التفسير الحديث،ج1، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة، ص86.

وما كانت الأمة العربية زمن كتابة الوحي أمة عريقة في الكتابة، وما كان كتاب النبي إلا صورة من العصر البادئ في الكتابة، ولم تكن الكتابة العربية على حالها اليوم من التجويد والكمال إملاء ورسما، ونظرة في رسم المصحف، وما يحمل من صور إملائية تخالف ما استقر عليه الوضع الإملائي أخيرا، تكشف عما كان العرب عليه من إملاء، وعما أصبحنا عليه نحن من إملاء[1].

وعرف علماء العربية القلم الذي دوّن به القرآن الكريم، ودعوه "القلم العربي" أو "الخط العربي" حينًا و"الكتاب العربي" أو "الكتابة العربية" حينًا آخر تمييزًا له عن المسند، ولم يشيروا إلى أسماء خطوط جاهلية أخرى، وتكلم "الهمداني" ومشايخه من قبله عن المسند, كما أشار إليه "ابن النديم", وذكر أن نماذج منه كانت في خزانة "المأمون"، غير أن علمهم به لم يكن متقنًا على ما يظهر من نقولهم عنه، ولم يكن لهم إدراك عن كيفية تطوره، ودعوه بالخط الحميري، وعرّفوه بأنه خط مخالف لخطنا هذا, كانوا يكتبونه أيام ملكهم فيما بينهم، وتسمي العرب "الكتاب العربي" أي: خطنا: "الجزم", وذكروا أنه إنما سمي جزمًا؛ لأنه جزم من المسند, أي: قطع منه, وهو خط حمير في أيام ملكهم، ولا يستبعد احتمال كون كلمة "الجزم" تسمية ذلك القلم في الجاهلية، ولا يستبعد احتمال كتابة أهل الأنبار أو أهل الحيرة أو غيرهم من عرب العراق بالقلمين معًا، القلم الذي دعاه البطليوسي بالمشق, وهو على حد قوله قلم أهل الأنبار, والقلم الحيري, وهو الجزم على رأيه أيضًا، ويذكر أن القلم السطرنجيلي استنبط في مطلع القرن الثالث للميلاد، استنبطه "بولس بن عرقا" أو "عتقا الرهاوي"، وشاع استعماله بين الناس، وذكرت لنا المصادر آراء تنسب إلى "ابن الكلبي", وهو في مقدمة علماء الأخبار في هذا الباب, وإليه يرجع أكثر من جاء بعده في رواية أخباره عن منشأ الخط, وعن كيفية تطوره حتى بلغ مبلغه هذا في الإسلام، ومنها آراء تنسب إلى غيره كابن عباس، وذكر أن أول ما ظهرت الكتابة العربية بمكة من قبل "حرب بن أمية" في مكة فتعلم منه جماعة من أهلها, وذكر أن أول من وضع الخط العربي "أبجد هوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت", وقيل: إنهم بنوا المحصن بن جندل بن يصعب بن مدين, مع عدنان بن أدد, فكان "أبجد" ملك مكة وما يليها من الحجاز, وكلمن وسعفص وقرشت ملوكًا بمدين, وقيل ببلاد مضر, فوضعوا الكتاب على أسمائهم، وقيل أن أول من خط هو: مرامر بن مرة من أهل الأنبار, وقيل: إنه من بني مرة، ومن الأنبار انتشرت الكتابة في الناس، وتعلم بشر بن عبد الملك الكتابة من أهل الأنبار وخرج إلى مكة وتزوج "الصهباء بنت حرب بن أمية"، وتعلم منه حرب, ومنه ابنه سفيان, ومنه ابن أخيه معاوية بن أبي سفيان, ثم انتشر في قريش، ومن ثم فأقدم من كتب بالحرف العربي هم أهل مكة، ولذلك قدم أهل الأخبار خط أهل مكة على سائر الخطوط التي عرفت في الإسلام، وجعلوه أول الخطوط العربية وبعده المدني, أي: خط أهل المدينة، والروايات التي ترجع علم مكة بالخط إلى اليمن, هي آحاد بالنسبة إلى الروايات الأخرى التي تنسب أخذ الخط من العراق، وأما دعوى مجيئه من مدين, أي: من أعالي الحجاز إلى مكة, فدعوى غير مستبعدة[2]، ولا يستبعد أن يكون أهل مكة قد أخذوا هذا الخط فكتبوا به، باحتكاكهم بأهل أعالي الحجاز وبلاد الشام حيث كانوا يتاجرون معهم, أو بمجيء النبط إليهم للاتجار تعلمه أهل مكة منهم، وذهب "خليل يحي نامي", إلى أن أصل الكتابة العربية من الحجاز, لما كان للحجاز من مكانة روحية عند العرب ولاشتغالهم بالتجارة، والمكانة الروحية والتجارة تستدعيان القراءة والكتابة, أخذوها من التجار النبط الذين كانوا يتوافدون عليهم للاتجار أو من اختلاطهم بالنبط أثناء ذهابهم إلى بلاد الشام، ويرى أن الخط النبطي هو والد الخط العربي, ودليله أن ترتيب الحروف على طريقة أبجد هوز, وترتيبها من حيث حساب الجمل, أي: جعل كل حرف من حروف أبجد هوز في مقابل رقم حسابي يردان في عربيتنا على نحو ما ورد عند النبط، مما يدل على أن الخط العربي أخذ من ذلك الخط, أضف إلى ذلك تشابه رسم الحروف المنفصلة والمتصلة في القلمين[3]، وأما موضوع أخذ أهل مكة خطهم المذكور من العراق, فكان عرب العراق يكتبون, ولهم مدارس لتعليم الكتابة ملحقة بالكنائس والأديرة, وكان بين أهل مكة وبين عرب العراق ولا سيما الأنبار والحيرة اتصال تجاري وثيق, وكان تجار مكة يأتون بتجارتهم إلى الحيرة ويقيمون بها, فلا يستبعد تعلمهم أو تعلم بعضهم الخط من أهل الحيرة ومن أهل الأنبار، كما كان للتبشير يد في نقل هذا الخط إلى الحجاز وربما إلى مواضع أخرى من جزيرة العرب، وكتب هؤلاء المبشرون بقلم نبطي أو بقلم آرامي متأخر, وهو والد القلم العربي الذي نكتب به، ونشط المبشرون من أهل العراق في التبشير في جزيرة العرب, ولا يستبعد أن يكون من بينهم مبشرون حيريون نقلوا الكتابة إلى "دومة الجندل" والحجاز ومواضع أخرى من جزيرة العرب، وذهب بعض المستشرقين إلى أن كتبة الوحي, إنما كتبوا بخط أُخذ من "الجزم", أي: من خط

---

[1] الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل. (1405هـ). الموسوعة القرآنية، ج3، مؤسسة سجل العرب: القاهرة، ص100.

[2] علي، جواد.(2001م). مرجع سابق، ص154، 157، 159، 168.

[3] نامي، خليل يحي.(1935م). أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، مج3, ج1, الجامعة المصرية: القاهرة، ص102 وما بعدها".

أهل الحيرة، وذلك بحكم اتصال أهل مكة بالحيرة, اتصالًا تجاريًّا, فتعلموه منهم، وبذلك فهم وافقوا بذلك بعض الروايات العربية التي ترجع علم أهل مكة بالكتابة إلى الحيرة، وظل أهل الحيرة يكتبون للولاة, ويقرءون عليهم ما يرد إليهم من رسائل أهل العراق وبلاد الشام, وذلك لحسن خطهم وإتقانهم الكتابة، فكان لأبي موسى الأشعري كاتب من النصارى، ولما أراد "عمر" اختيار كاتب حاذق حافظ ذكر له غلام نصراني من أهل الحيرة، ومما يلفت النظر أن المنطقة التي يذكر أهل الأخبار أنها كانت الأرض التي نبت بها الخط العربي, وهي الأنبار والحيرة, لم تعط الباحثين حتى الآن أي نص مكتوب، كما أن مكة المدينة الآخذة للخط لم تعطنا أيضًا أي نص جاهلي مكتوب، مع أن نصوص هذه الأرضين تهمنا بصورة خاصة, لما لها من علاقة بالخط العربي, وباللغة التي نزل بها القرآن الكريم ونظم بها الشعر الجاهلي, وبالأدب الجاهلي، فلم لم تصل نصوص إلينا من العراق ولا من مكة مع أن أهل مكة كتبوا عند ظهور الإسلام, وكذلك أهل الحيرة كانوا يكتبون, ولهم دواوين في أخبارهم, هل سبب عدم وصولها, أن الذين كتبوا بهذا القلم إنما كتبوا على مواد سريعة التلف وبالحبر, ولذلك تلفت, ولم تتمكن من العيش طويلًا, كما تلفت مخطوطات أهم منها شأنًا مثل: النسخ الأولى للقرآن الكريم, والنسخ الأصلية من رسائل وكتب الرسول إلى الملوك والأمراء وإلى أصحابه، وكذلك خطوط الخلفاء الراشدين وسجلات دواوينهم وما شاكل ذلك من وثائق، قد يكون ما ذكر هو السبب في عدم وصول نص من هذه الأرضين إلينا, وقد تكون هنالك أسباب أخرى[1].

وذكر أن مضر تعلّمت الكتابة العربيّة من حمير إلّا أنّهم لم يكونوا مجيدين لها شأن الصّنائع إذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة إلى الإتقان والتّميق لبون ما بين البدو والصّناعة واستغناء البدو عنها في الأكثر، وكانت كتابة العرب بدويّة مثل كتابتهم أو قريبا من كتابتهم لهذا العهد، أو إنّ كتابتهم لهذا العهد أحسن صناعة لأنّ هؤلاء أقرب إلى الحضارة ومخالطة الأمصار والدّول، وأمّا مضر فكانوا أعرق في البدو وأبعد عن الحضر من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشّام ومصر فكان الخطّ العربيّ لأوّل الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التّوسّط لمكان العرب من البداوة والتوحّش وبعدهم عن الصّنائع، ومن ذلك ما وقع منهم في رسمهم المصحف؛ حيث رسمه الصّحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخطّ عند أهلها، ثمّ اقتفي التّابعون من السّلف رسمهم فيها تبرّكا بما رسمه أصحاب الرّسول صلى الله عليه وسلم، كما يقتفي لهذا العهد خطّ وليّ أو عالم تبرّكا ويتبع رسمه خطأ أو صوابا، وأين نسبة ذلك من الصّحابة فيما كتبوه فاتّبع ذلك وأثبت رسما ونبّه العلماء بالرّسم على مواضعه[2]، ودخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلا يكتب هم: عُمَر بْن الخطاب، علي بْن أَبِي طالب، عُثْمَان بْن عَفَّان، أبو عُبَيْدة بْن الجراح، طلحة ويزيد ابن أَبِي سُفْيَان، أبو حذيفة بْن عتبة بْن ربيعة، حاطب بْن عَمْرو أخو سهيل بن عمرو العامري، أبو سلمة بْن عَبْد الأسد المخزومي، أبان بن سعيد بن العاصي بن أمية، خالد بن سعيد، عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، حويطب بن عبد العزى العامري، أبو سفيان ابن حرب بن أمية، معاوية بن أبي سفيان وجهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، ومن حلفاء قريش العلاء بن الحضرمي[3].

ولا شك أن شباب قريش الذين كانوا في أكثرهم تجارا، وكانوا يعقدون المعاهدات، ويسجّلون العقود ويحتاجون إلى كتابة الرسائل عرفوا في أكثرهم الكتابة العربية، والقرآن الذي ترد فيه إشارات كثيرة إلى الكتب والكتابة والعقود والنظم التجارية شاهد صريح على كون هذه الأمور كلها معروفة وممارسة لديهم، وكتب السيرة والتاريخ والطبقات تؤكّد ذلك بذكر أسماء أشخاص بعينهم في مكة والمدينة كانوا يحسنون الكتابة والقراءة، كما تذكر تقليداً آخر ربما كان خاصاً بالمدينة المنورة مفاده أنّ أولئك الذين كانوا يحسنون الكتابة والسباحة والرمي كانوا يسمّون «الكمله»، وكان منهم بين الأنصار عدد ليس بالقليل[4].

بداية الخط العربي وجودته في حمير دولة التبابعة:

كان الخط العربي في غاية الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة وهو المسمى بالخط الحميري وكان بحمير كتابة تسمى المسند حروفها منفصلة ومنعوا من تعليمها إلا بإذنهم ومن حمير تعلم مضر، واختار ابن خلدون القول بأنه تعلم الكتابة العربية من التبابعة وحمير أهل الحيرة وتعلمها منهم أهل الحجاز، وظاهر كون بلقيس من العرب وأنها قرأت الكتاب يقتضي أن الكتاب كان عربيا، ولعل سليمان عليه السلام

---

[1] علي، جواد.(2001م). مرجع سابق ، ص169، 170.

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد.(1988م). مرجع سابق، ص526.

[3] البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود.(1988م). فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ص453.

[4] ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبي.(1978م). سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق سهيل زكار، ط1، دار الفكر: بيروت، ص6.

كان يعرف العربية، وإن لم يكن من العرب، ومن علم منطق الطير لا يبعد أن يعلم منطق العرب، ويحتمل أن يكون عنده من يعرف ذلك وكذا من يعرف غيره من اللغات كعادة الملوك يكون عندهم من يتكلم بعدة لغات ليترجم لهم ما يحتاجونه، ومع ذلك يظل احتمال أن يكون الكتاب غير عربي[1].

وليس من المعقول أن الخط الحميري الذي هو أساس الخط العربي لا يكون له أصول وقواعد معروفة، بل إن للخطوط التي هي أقدم من الخط الحميري بآلاف السنين قواعد تامة لا تخفى على من تخصص بفك طلاسمها وترجمتها في وقتنا الحاضر وذلك كالخط الهيروغليفي بأنواعه الثلاثة الفينيقي والآشوري والسرياني[2]، ومع كل ما ذكر فقد قال أبي عمرو بن العلاء: "ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا"، وينص على أن لسان اليمنيين الداخليين ومن يجري مجراهم هو الذي يخالف لسان العرب الشماليين، بل لا يُستبعد القول أن اليمنيين الداخليين أنفسهم أخذوا في التعرب[3].

الفرق بين الخط المسند والخط العربي:

للمسند ميزات امتاز بها عن القلم العربي، فحروفه منفصلة، وهي بشكل واحد لا يتغير بتغير مكان الحرف من الكلمة، فإذا جاء الحرف في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، كتب بشكل واحد، وقد جعلت هذه الخاصية لهذا القلم ميزة أخرى، هي ميزة الكتابة به من أي جهة شاء الكاتب أن يبدأ بها، فله أن يكتب من اليمين إلى اليسار وله أن يكتب من اليسار إلى اليمن، وله أن يمزج بين الطريقتين، بأن يكتب على الطريقة الحلزونية، من اليمن إلى اليسار، ثم من اليسار إلى اليمن، ثم من اليمين إلي اليسار، أو العكس، وله أن يكتب من أعلى إلى أسفل أو العكس وهكذا، ثم إن حروفه غير متشابهة لذلك لم يعرف المسند الأعجام، ولو كتب له أن يكون قلم المسلمين ليسر لنا اليوم وقتًا ومالًا في موضوع الطباعة به، ولكنه أبطأ في الكتابة نوعًا ما من الخط العربي لشكل حروفه الضخمة بالنسبة إلى الحروف العربية المختزلة، فالخط العربي يمتاز عليه بهذه الناحية فقط، أما موضوع الشكل، فالمسند غير مشكول، بل يكتب بحروف صامتة فقط، وفي القرن التاسع عشر وما بعده كشف المستشرقون النقاب عن أقلام أخرى لم يعرفها علماء العربية كالقلم الثمودي، والصفوي، واللحياني، وكتابات أخرى كتبت بلهجات محلية عثر عليها في الجوف، وفي الحجر وفي العلا، وفي مناطق أخرى كجبل شيحان، وكوكبان، وجبل شمر، لها بعض الخصائص والمميزات اللغوية، والظاهر أن خط هذه الكتابات كان مستعملًا بين السواد في الأمور الشخصية[4].

خط سير الخط العربي:

أول حلقة من سلسلة الخط العربي هي الخط المصري القديم ومنه اشتق الخط الفينيقي ومن هذا اشتق الآرامي والمسند بأنواعه: الصفوي والثمودي واللحياني شمالي جزيرة العرب والحميري جنوبيها، ورواة العرب يقولون إنهم أخذوا خطهم الحجازي عن أهل الحيرة والأنبار، واستعمل الخط المسند الحميري عند الأولين من عهد مديدي والأنباري الحيري عند الآخرين[5]، ووجدت مجموعة من الخطوط القديمة في شبه الجزيرة العربية رجعت أصولها إلى الكتابة الآرامية ثم سلكت جهات إقليمية أو شعوبية، وتمايز منها الخط النبطي والخط التدمري فضلًا عن الخط السرياني، ويعنينا منها الخط النبطي خاصة لوثيق صلته بالخط العربي ووثيق صلة أصحابه بالعرب، وتعلم كتبة الأنباط الخط الآرامي من موضعين، من إمارة إدوم بعد أن استقروا في أرضها وتغلبوا على حكمها في نواحي هضبة إدوم وجبل سعير شرقي العقبة وجنوب شرقي الأردن، ثم من دويلة دمشق الآرامية الأصل التي اتصلوا بها عن طريق التجارة واستفادوا من حضارتها وحاولوا أن يحتلوها أكثر من مرة، وحين تعلم الأنباط الخط الآرامي تعلموه كيفما اتفق وفي غير دقة كبيرة، فرسموا حروفه في أشكال مختصرة وكتبوا بها لغتهم المحلية، التي هى لغة عربية في مجملها ولكنها عربية ذات رطانة آرامية لاسيما في مناطق استقرارهم الشمالية، وكتب الآراميون ومن أخذوا بخطهم حروفهم مفردة، وكلماتهم متعاقبة دون فواصل بينها، فلما انفرد الأنباط بخطهم كان خير مازادوه فيه تجديدان، وهما محاولة وصل حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض، أو على الأقل محاولة وصل الحرفين المتجاورين مع بعضهما، ثم محاولة الفصل بين كل كلمة والكلمة التي تليها في سطرها الأفقي بطريقة

---

[1] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني.(1415هـ). مرجع سابق، ص179، 189.

[2] الكردي، محمد طاهر بن عبد القادر.(1946م). تاريخ القرآن الكريم، مطبعة الفتح: جدة، ص132.

[3] ضيف، أحمد شوقي عبد السلام.(د.ت). مرجع سابق، ص120.

[4] Grundriss, I, S. 147, Transaction of the 9th Inter. Congr. of Orientalists, Vol. I, p. 86, "London", 1893, Uber die Protoarabischen Inschriften, in Aufs und Abh., S. 41, 161, Saudarabische Chrestom., S. 6, Lady A. Blunt, A Pilgrimage to Nejd, London, 1881, Vol. 2

[5] الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفي.(د.ت). جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه لجنة من الجامعيين، ج2، مؤسسة المعارف: بيروت، ص20.

ما، وأدى هذان التجديدان إلى زيادة الفوارق بين الخط النبطي وبين أصوله الآرامية القديمة، وبدأ كتبة الأنباط خطوة وصل الحروف بالوصل بين حرفي الباء والراء في كلمة بر بمعنى بن نظرًا لكثرة استخدامها في ذكر نسب الشخص إلى أبيه، واتخذوا الوصل بين هذين الحرفين نموذجًا لكلمات ثنائية أخرى تبدأ بحرف الباء مثل(به)، وذلك منذ القرن الأول قبل الميلاد على أقل تقدير، ثم طبقوا هذا الربط على أغلب الكلمات الثنائية الأخرى مثل (يد، من، نه، إلخ)، وبعض الكلمات الثلاثية التي يكثر استعمالها في كتابة النصوص مثل كلمة ملك، وفعل عبد بمعنى صنع، وذلك منذ القرن الأول الميلادي، وعملوا بعد ذلك على تطبيق هذه الطريقة على كثير من كلماتهم الأخرى خلال القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد، مع استثناء حروف معينة تركوها مفردة مثل (الألف والواو) ، وبعد أن ورث العرب الشماليون خط الأنباط واستخدموه، أضافوا إليه بضعة تجديدات قبيل ظهور الإسلام، ومن هذه التجديدات ربط بعض الحروف من رأسها لتصبح تحت مستوي السطر مثل الراء والنون في لفظ الرحمن، وزادوا في تحوير أشكال بعض الحروف إلى صور قريبة مما نستخدمه لها الآن مثل شكل الهاء في بداية الكلمة ووسطها ونهايتها، وشكل الياء في أول الكلمة وفي آخرها، وكما استفاد الكتبة العرب من أسلوب الخط النبطي أثروا في زيادة صبغ النصوص النبطية بلهجتهم العربية على حساب اللهجة الآرامية منذ القرنين الثالث والرابع الميلاديين، ثم جعلوها عربية خالصة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، واختلف المؤرخون المسلمون القدماء في تحديد المنطقة التي تطور الخط النبطي فيها إلى صورته العربية التي عرف بها قبيل ظهور الإسلام، واتجه أغلبهم إلى نسبة هذا التطوير إلى الحيرة، وقالوا فيما قالوه إن أهل الحيرة أخذوه عن الأنبار وإن الأنبار أخذوه عن اليمن، وإن ثلاثة من قبيلة بولان في الأنبار اجتمعوا فوضعوا الحروف المقطعة والموصولة، والمنقوطة وغير المنقوطة، ويبدو أنه ساعدهم على القول بهذا الرأي ما تواتر إليهم عن رقي حضارة أهل الحيرة في عهود المناذرة، وما علموه من أن بعض عربها النصارى كانوا يكتبون الإنجيل ويقرءونه، ويدونون أخبارهم ويرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب، وأن فريقا منهم كان يقرأ الفارسية واليونانية، وكتب مسيحيين أهل الحيرة بالخط السرياني، والخط السرياني وإن كان فرعًا من الكتابة الآرامية إلا أنه فرع بعيد عن أصول الكتابة العربية، وقد يكون المؤرخ العربي هشام الكلبي أكثر توفيقًا في تخمين منطقة تطوير الخط النبطي إلى صورته العربية، فنقل عنه ابن النديم أن العرب أخذوا خطهم عن أهل مدين، وأن المقاطع التي حفظ العرب بها أبجديتهم تعبر عن أسماء ملوك مدين[1].

وغلب على خط أهل القرون الثلاثة الأولى الخط الكوفي، وبدأ مزج الخط الكوفي بالخط الحديث في أواخر خلافة بني أمية وصدر الدولة العباسية، هذا ما كان في الجانب الشرقي من الدولة الإسلامية، وكان في الجانب الغربي من الدولة خط قديم سُمى "الإفريقي"، وأوضاعه كما يقول ابن خلدون قريبة من أوضاع الخط المشرقي، ولما تغلب الأمويون على الأندلس ظهر لهم خط خاص هو الخط الأندلسي، ويظهر فيه بعض الميل إلى الاقتباس من الحروف الإفرنجية، وعندما تقلص ظل العرب والأفارقة من الأندلس وتلاشي ملكهم بها فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقيا منذ ظهور الدولة اللمتونية غلب خطهم الأندلسي على الخط الإفريقي القديم وعفي عليه، إلا بقايا منه ظلت ببلاد الجريد التي لم يخالط أهلها كتاب الأندلس[2].

والخط العربي - الذي عرف في الإسلام بالخط الكوفي- عُرف في الجاهلية منذ مطلع القرن الرابع الميلادي على أقل تقدير، وكتب عرب الجاهلية بهذا الخط الذي استطاع المسلمون قراءته في يسر، ونستطيع الآن أن نقرأه بعد شيء من المرانة والدربة[3]، والرسم القرآني ليس موروثا وإنما هو منقول عن الصحف التي كتبت في العهد النبويّ، ونقل عن الإمام مالك، والإمام أحمد، النهي عن كتابة القرآن بالرسم الإملائي الذي استحدث في زمن الخليل بن أحمد، وفي الأزمنة التالية، فكلّ رسم قرآني له دلالته اللغوية والمعنوية، وهو لغة من لغات العرب، قد يكون وصلنا شاهد لها، وما لم يصلنا شاهده، فربما يكون ضاع وفقد، ولم يصل إليه علماء اللغة[4].

وعلى أي حال فأصل الخط العربي مشكلة مُستعصية تتأرجح حولها الآراء ولا تكاد تستقر، وللعرب القدامى في ذلك روايات مختلفة، وللمستشرقين المحدثين آراء متباينة، فسواء كان الخط العربي توقيفًا علمه الله آدم ثم أصابه إسماعيل بعد الطوفان، أم كان اخترعًا أخذته العرب عن الحيرة، والحيرة أخذته عن الأنبار، والأنبار أخذته عن اليمن، أو أخذته عن العرب العاربة الذين نزلوا في أرض عدنان، أم كان مشتقًّا من

---

[1] صالح، عبد العزيز.(د.ت). مرجع سابق، ص27، 31.

[2] هارون، عبد السلام محمد.(1965م). تحقيق النصوص ونشرها، ط2، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع: القاهرة، ص28.

[3] الأسد، ناصر الدين.(1988م). مصادر الشعر الجاهلي، ط17، دار المعارف: القاهرة، ص619.

[4] شُرَّاب، محمد بن محمد حسن.(2007م). شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، ط1، ج1، مؤسسة الرسالة: بيروت، ص211.

الخط الآرامي كما ذهب بعض المستشرقين، أو مشتقًّا من الخط النبطي كما ذهب البعض، وهو أرجح الآراء عند الباحثين في هذا الموضوع، والذي يعنينا من كل ذلك أن نصل إلى معرفة أمرين؛ الأول: صورة الحروف التي كان يكتب بها عرب الجاهلية الأخيرة؛ والثاني: أقصى زمن نستطيع أن نؤرخ به وجود الكتابة العربية في الجاهلية بهذه الحروف التي عرفنا صورها[1].

ومن الأمور التي ساعدت على انتشار الخط العربي، ما قام به عبد الملك من حركة التعريب في الدواوين، الأمر الذي أدى إلى تعريب اللسان ونشر الخط العربي في كل البلدان التي توالى فيها بعد ذلك نقل دواوينها إلى اللغة العربية، ذلك أن: استخدام اللغة العربية في الشئون الإدارية كان وسيلة فعالة كبرى إلى نشر العلم بطراز معهود في الكتابة العربية، ومن الثابت أيضاً أن هذا الطراز لم يتم تطوره الكامل بتحقيق حروف الهجاء من أواخر القرن الأول بعد الهجرة[2].

وعلى الرغم من كل ما ذُكر تظل مسألة نشأة الخط العربي وأصوله لها العديد من النظريات والنصوص، ولا يخرج الحديث عنها عن إطار الفرضيات رغم وفرة النصوص، حيث لا يستطيع أحد الجزم بدقتها خاصة في إطار التناقض في وجهات النظر المتعددة في هذا المجال[3].

تطور الخط العربي وأقلامه:

كان للعرب إلى جانب القلم الكوفي قلم نبطي، انتقل إليهم من حوران مع رحلاتهم إلى الشام، وعاش العرب ولهم هذان القلمان: الكوفي والنبطي، استخدموا الكوفي لكتابة القرآن، واستخدموا النبطي في شئون أخرى، وبالخط الكوفي كانت كتابة المصاحف، غير أنه كان أشكالا، واستمر ذلك إلى القرن الخامس تقريبا، ثم ظهر الخط الثلث، وعاش من القرن الخامس إلى ما يقرب من القرن التاسع، إلى أن ظهر القلم النسخ، الذي هو أساس الخط العربي إلى اليوم، فلقد كتب القرآن بالكوفي أيام الخلفاء الراشدين، ثم أيام بني أمية، وفي أيام بني أمية صار هذا الخط الكوفي إلى أقلام أربعة، ويعزون هذا التشكّل في الأقلام إلى كاتب اسمه «قطبة» وكان كاتب أهل زمانه، فكتب لبنى أمية المصاحف، وفي أوائل الدولة العباسية ظهر «الضّحاك بن عجلان» ومن بعده «إسحاق بن حمّاد»، فإذا هما يزيدان على «قطبة»، وإذا الأقلام العربية تبلغ اثني عشر قلما: قلم الجليل، قلم السجلات، قلم الديباج، قلم أسطور مار الكبير، قلم الثلاثين، قلم الزنبور، قلم المفتتح، قلم الحرم، قلم المؤامرات، قلم العهود، قلم القصص، قلم الحرفاج، وحين ظهر الهاشميون حدث خط يسمى: العراقي، وهو المحقن، ولم تزل الأقلام تزيد إلى أن انتهى الأمر إلى المأمون فأخذ كتّابه يتجويد خطوطهم، وظهر رجل يعرف «بالأحول المحرر» فتكلم على رسوم الخط وقوانينه وجعله أنواعا، ثم ظهر قلم «المرصع»، وقلم «النساخ»، وقلم «الرياس»، نسبة إلى ذي الرياستين الفضل بن سهل، وقلم الرقاع، وقلم غبار الحلبة، فزادت الخطوط على عشرين شكلا، ولكنها كلها من الكوفي، حتى إذا ما ظهر ابن مقلة (328 هـ) نقل الخط من صورة القلم الكوفي إلى صورة القلم النسخي، وجعله على قاعدة جميلة كانت أساسا لكتابة المصاحف، والذي لا شك فيه أن هذه الأقلام المختلفة تبارت في كتابة المصحف، كما كتب بأقلام غير هذه، منها قلمين هما: سياقت، وشكسته، وظلت المصاحف على هذه الحال إلى أن ظهرت المطابع سنة (1431م)، وكان أول مصحف طبع بالخط العربي في مدينة «همبرج» بألمانيا، ثم في «البندقية» في القرن السادس عشر الميلادي[4].

وللخط العربي إمكانات معينة يحاول بها التعبير عن الواقع الصوتي، ويدوّن الخط العربي الأصوات الصامتة مثل الباء والسين والصاد... إلخ، والحركات الطويلة وهي: الضمة الطويلة والفتحة الطويلة والكسرة الطويلة بحروف الكتابة العربية، فالخط يتعامل بالحروف، وعلم اللغة يتعامل بالأصوات، يحاول الخط العربي بشكل ما تدوين أصوات اللغة العربية إلا أن الحركات القصيرة وهي الضمة والفتحة والكسرة ليست لها حروف في الخط العربي، ولذا فكتابتها أمر اختياري، ولكن الحركات القصيرة - شأنها شأن الحركات الطويلة والصوامت - عناصر أساسية في تكوين النظام اللغوي للعربية وكل اللغات، يؤدي تغيير الحركات إلى تغيير المعنى فالفرق بين ضرب المبني للمعلوم وضُرب المبني للمجهول فرق في الحركات أدى إلى تحول في الصيغة وتغير في المعنى، وثمة فرق أساسي بين مجموع الحروف ومجموع الأصوات في أنماط كثيرة من الكلمات العربية فالفعل الماضي: كتبوا، سافروا.... إلخ ينتهي بألف ليست لها أية دلالة صوتية، وعلى العكس من هذه الظاهرة نجد الحروف التي تكتب بها كلمات كثيرة أقل عددًا من الأصوات المكونة لها، وبعض الحركات الطويلة لا تكتب في بعض الكلمات. مثل: هذا،

---

[1] الأسد، ناصر الدين.(1988م). مرجع سابق، ص23.

[2] الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد.(2008م). الدولَة الأمويَّة عَواملُ الازدهارِ وَتداعيات الانهيار، ط2، ج2، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ص61.

[3] ابن حميد، صالح بن عبد الله.(د.ت). نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع: جدة، ص70.

[4] الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل. (1405هـ). مرجع سابق، ص376، 377، 378.

هذه.... إلخ، وثمة فرق آخر بين الحروف والأصوات، ويتضح هذا الفرق بأن نلاحظ أن حرف الواو في الخط العربي يرمز إلى ظاهرتين صوتيتين مختلفتين في اللغة العربية، فالواو ترمز في تدوين الكلمات: ورد، ولد، إلى صوت صامت في العربية، بينما ترمز الواو نفسها في تدوين الكلمات خلود، سرور، شهود، إلى حركة طويلة في اللغة العربية، وكذلك حرف الياء في الخط العربي، فهو يرمز تارة إلى صوت صامت في الكلمات: يكتب، يلعب، وتارة أخرى إلى حركة في الكلمات: في، لي، ولهذا كله لا يجوز في بحث اللغة العربية -أو أية لغة أخرى- أن نتعامل بالحروف المكتوبة، بل علينا أن ندرس الأصوات اللغوية المكونة لهذه اللغة، محاولين في كل حالة تبين الواقع الصوتي للغة مراعين مدى الاختلاف بين اللغة باعتبارها ظاهرة صوتية وكيفية تدوينها بالحروف، وقد تأثرت اللغات على مدى التاريخ وما زالت تتأثر بعوامل أخرى غير العامل الحضاري المذكور، فالعامل الديني أبقى اللغة العربية مقروءة أكثر من عشرين قرنًا، فكان اليهود يتعلمون قدرًا من العبرية لأنها لغة العهد القديم، والتقاء العرب حول الفصحى وعدم نجاح الدعوى إلى الكتابة بالعامية يرجع إلى عوامل منها الالتقاء حول لغة القرآن الكريم، وقد مهد العامل الديني لدخول عدد كبير من الألفاظ العربية المتعلقة بالدين والحضارة إلى لغات العالم الإسلامي في إفريقيا وآسيا وجنوب أوربا[1].

أقلام الخط العربي وتطورها:

قال ابن إسحاق: أول خطوط العربية الخط المكي، وبعده المدني، ثم البصري، ثم الكوفي، وأما المكي والمدني: ففي ألفاته تعوج إلى يمنة اليد، وفي شكله إنجاع يسير، قال الكندي: لا أعلم كتابة يحتمل من تحليل حروفها وتدقيقها، ما تحتمل الكتابة العربية، ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من الكتابات[2]، وحين انتهى الخط العربي إلى العصر الحديث أصبحت تجمعه أقلام مختلفة، وهى: الثلث، النسخ، الرقعة، الفارسي، الديواني، التعليق «ويسمى: الإجازة، وهو بين الثلث والنسخ»، الريحاني، الكوفي والمغربي، ويُقال أن أول من أجاد خط المصاحف «خالد بن أبى الهياج»، ثم جاء على إثره من كانوا على فهم بالتذهيب والزخرفة، منهم: إبراهيم الصغير، اليقطيني، أبا موسى بن عمار، ابن السفطي، أبا عبد الله الخزيمي ومحمد بن محمد الهمداني، وكان ثمة خطاطون وقفوا أقلامهم على كتاب الله لا يخطون غيره، ومنهم من كتب من المصاحف كثرة كثيرة، أيام أن لم تكن مطابع[3]، والخطّ الكوفيّ فيه عدّة أقلام مرجعها إلى أصلين: وهما التقوير والبسط، فالمقوّر هو المعبّر عنه الآن باللّيّن، وهو الذي تكون عرقاته وما في معناها منخسفة منحطة إلى أسفل كالثلث والرقاع ونحوها، والمبسوط هو المعبّر عنه الآن باليابس، وهو ما لا انخساف وانحطاط فيه كالمحقّق، والحروف العربية على تسع عشرة صورة، وهي صورة الألف، وصورة الباء والتاء والثاء، وصورة الجيم والحاء والخاء، وصورة الدال والذال، وصورة الراء والزاي، وصورة السين والشين، وصورة الصاد والضاد، وصورة الطاء والظاء، وصورة العين والغين، وصورة الفاء والقاف، وصورة الكاف، وكل ما أخذ فيه من يسرة إلى يمنة كرأس الجيم ينبغي أن يمال رأس القلم فيه إلى اليمنة قليلا، وكلّ خط منتصب فيجب أن يكون انتهاؤه أرسالة، وطول كل سنة من السين ونحوها مثل سدس ألف خطها، وقيل مثل سبعه، وكلّ شطية في أوّل أو آخر مثل سبع ألف خطّها، وللسّنّ الأيمن من القلم الألف واللام ورفعة الطاء والنون والباء والكاف إذا كانت قائمة مبتدأه، وأواخر التعريقات والمدّات وطبقة الصاد والضاد، ومدّة السين والشين؛ وللأيسر الجيم وأختاها والردّات وتدوير رؤوس الفاءات والقافات والهاءات والواوات والكافات المشقوقة، وكل ردّة من اليسار إلى اليمين تكون بصدر القلم، ويجب أن تكون المطّات الطويلة بسنّ القلم اليمنى مشطّاة ممالة، فتكون المطّة من رأس شطيتها، وأن تكتب المدّات القصيرة بحرف القلم؛ وإذا ابتدأ بالمدّة وجب أن يدار القلم على سنّه مثل مطّة الطاء؛ وإذا وصلت المطّة بحرف مثلها كتبت بوجه القلم مثل مطّة الفاء المفردة، وهذا من أعظم أسرار الكتابة، وينبغي لمن يرغب أن يكون خطّه جيّدا وما يكتبه صحيح التناسب، أن يجعل لذلك أصلا يبني عليه حروفه، ليكون ذلك قانونا له يرجع إليه في حروفه، لا يتجاوزه ولا يقصّر دونه، ومثال ذلك في الخطّ العربيّ أن تخط ألفا بأيّ قلم شئت، وتجعل غلظه الذي هو عرضه مناسبا لطوله، وهو الثمن ليكون الطّول مثل العرض ثمان مرّات، ثم تجعل البركار على وسط الألف وتدير دائرة تحيط بالألف لا يخرج دورها عن غيرهما ممن لعلّه يقف عليه، ويسمّى التعمية، والترجمة عبارة عن كشف المعمّى، ومنه سمّي المعبّر لغيره عن لغة لا يعرفها بلغة يعرفها بالتّرجمان، وإليه ينحلّ لفظ الحلّ أيضا، إذ المراد من الحلّ إزالة العقد فيصير المراد بحلّ المترجم ترجمة المترجم أو حلّ الحل، ولو عبّر عنه بكشف المعمّى لكان أوفق للغرض المطلوب، ثم مبنى ذلك على كيفية التعمية، والتعمية بالنّسبة إلى كلّ واحد من الناس باعتبار ما يجهله من الخطوط، فيعمّى على

---

[1] حجازي، محمود فهمى.(د.ت). مرجع سابق، ص11، 12، 29.

[2] حاجي خليفة، مصطفي بن عبد الله.(1941م). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، مكتبة المثنى: بغداد، ص711.

[3] الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل. (1405هـ). مرجع سابق، ص398.

العربيّ في اللغة العربيّة بالخطوط غير العربيّة، كالرّوميّة والعبرانيّة ونحوهما، إذا كانت حروف تلك اللغة توافق لغة العرب، أو بقلم مصطلح عليه على وفق حروف العربية، وكذلك يعمّى على غير العربيّ من الرّومي ونحوه ممن يجهل الخطّ العربيّ بالقلم العربيّ[1].

وبلغ عدد الأقلام العربية إلى أوائل الدولة العباسية (12) قلمًا، كان لكل قلم عمل خاص وهي: الجليل: كان يكتب به في المحاريب، وعلى أبواب المساجد، وجدران القصور ونحوها، وهو ما يسميه العامة بالخط الجلي، قلم السجلات، قلم الديباج، قلم أسطومار الكبير، قلم الثلثين، قلم الزنبور، قلم المفتح، قلم الحرم: كان يكتب به إلى الأميرات من بيت الملك، قلم المؤامرات: كان لاستشارة الأمراء ومناقشتهم، قلم العهود: كان لكتابة العهود والبيعات، قلم القصص وقلم الخرفاج، ولما ازدان عصر العباسيين بأنوار العلوم والعرفان، وخصوصًا في أيام المأمون، أخذت صناعة الخط تنمو وتنتشر وتتقدم كسائر العلوم التي ضرب فيها المسلمون بسهام نافذة لاحتياجهم إليها؛ فتنافس الكتاب في أيامه في تجويد الخط؛ فحدث القلم المرصع، وقلم الناسخ، وقلم الرياسي نسبة إلى مخترعه ذي الرئاستين الوزير الفضل بن سهل، وقلم الرقاع وقلم غبار الحلبة، وكان يكتب به بطائق حمام الرسائل، وهكذا كل قلم كان معدًّا لنوع من الكتابة، كما تكتب الإنعامات بالرتب بقلم خاص, والأوراق الديوانية بقلم خاص، وألواح الحجر بخط آخر، وكتب التعليم بآخر، فزادت الخطوط العربية على عشرين شكلاً، وكلها تعد من الخط الكوفي فهو إذ ذاك كان خط الدين والدولة، وكان يُكتب به القرآن منذ أيام الراشدين حتى أواسط العصور الإسلامية، وأما الخط النسخي فقد كان مستعملاً بين الناس لغير المخطوطات الرسمية، وتفرع الخط النسخي المذكور بتوالي الأعوام إلى فروع كثيرة وأصبحت الأقلام الرئيسية في الخط العربي اثنين: الكوفي والنسخي، ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام بين المتأخرين وهي: الثلث، والنسخ، والتعليق، والريحاني، والمحقق، والرقاع، وما زال الخط يتفرع إلى الآن، فظهر بعد هذه الستة الأقلام القلم الديواني، والقلم الدشتي، والقلم الفارسي، وغيره، وبقي الأمر تابعًا لارتفاع الدولة، وانخفاض شأنها، فإنه لما تضعضعت خلافة بغداد، وانتقلت الخلافة إلى مصر انتقل الخط والكتابة والعلم إليها، وسرى منها إلى مضافاتها من البلاد التابعة لدولتها وإلى ما جاورها، وصار للحروف قوانين في وضعها، وأشكالها متعارفة بين الخطاطين، وحفظ لنا القلقشندي بيانات صحيحة عن أواسط عصر المماليك (أواخر القرن الثامن للهجرة) فذكر أنواع الخطوط المستعملة في الدواوين، وعلق عليها معتمدًا على نماذج منها نشرها، وهي ستة أنواع: الطومار الكامل: ويشتمل على جملة أنواع، وكان يكتب به السلطان علاماته على المكاتبات، والولايات، ومناشير الإقطاع، مختصر الطومار: وهو على نوعين: الثلث والمحقق، وكان يكتب به في عهود الملوك عن الخلفاء، والمكاتبة إلى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق، الثلث: وهو نوعان من الثقيل والخفيف، التوقيع: وهو على ثلاثة أنواع، وكانت توقع به الخلفاء، والوزراء على ظهور القصص، الرقاع: وهو على ثلاثة أنواع أيضًا، وكان يكتب به في الرِّقاع جمع رُقعة، وهي الورقة الصغيرة التي تكتب فيها المكاتبات اللطيفة، والقصص، وما في معناها، الغبار: وهو نوع واحد، وكان يكتب به بطائق الحمام، والملطِّفات، وما في معناها، وللكتابات المنقوشة على الأحجار في أيام المماليك جمال وبهاء، وهو وإن كانت حروفه مستطيلة، فهي ربما أجمل مما كانت عليه في أيام العباسيين، ولما آلت الخلافة إلى الأتراك بعد زوال دولة المماليك بمصر، ورثوا بقايا التمدن الإسلامي، فكان لهم اعتناء خاص بالخط، وأخذوا في إتقانه على أيدي الأساتذة الفارسيين الذين اعتمدوا عليهم في الآداب والفنون، وحفظ الأتراك عدة قرون في مصالح حكومتهم، ودوائرهم الملكية، والعسكرية أنواع الخطوط التي كانت مستعملة في القرون الوسطى، فكان يُعْرَف عندهم في القرن الحادي عشر للهجرة (30) نوعًا تقريبًا إلا أنه أهمل أكثرها أثناء القرنين الثاني عشر والثالث عشر، والأتراك هم الذين أحدثوا الخط الرقعة، والخط الهمايوني، وإليهم انتهت الرئاسة في الخط على أنواعه، وأخذ عنهم الخط المعروف بالإسلامبولي ولا يزال الخط يتفرع إلى ما شاء الله عملاً بسنة الارتقاء، وشيئا فشيئا أُهمل الخط الكوفي، وصار الخط النسخي هو الأكثر استعمالاً في كتابة اللغة العربية أينما وجدت، وكذلك في كتابة اللغة التركية، والتترية، والأفغانية، والهندية، وغيرها من لغات العالم الإسلامي، والقلم الفارسي: وهو مشتق من الخط القيراموز المتولد من الخط الكوفي في صدر الإسلام، وتكتب به اللغة الفارسية، ويستعمل غالبًا عند الهنود في كتابة لغتهم الهندستانية (الأوردية)، والقلم المغربي: المستعمل في مراكش، والجزائر، وتونس، وطرابلس لكتابة العربية والبربرية معًا، والقلم الرقعة والقلم الثلث: الرقعة هو خط الدواوين في تركيا، وغيرها، ويغلب استعماله أيضًا في المراسلات الاعتيادية، وهو والقلم الهمايوني من مستحدثات الأتراك، وانتشر الرقعة بسلطة الأتراك في جزء من البلدان العربية، وقد استعمل في مصر، والعراق، وسوريا مثل القلم الثلث المستعمل عند الجميع، إلا أن الثلث استعمل في الزخرفة والتزويق أكثر من استعماله في الكتابة العادية، قلم التعليق: أو الكتابة الفارسية المحرفة، واستعمل في تركيا لكتابة الأوراق، والأعمال القضائية

[1] القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري.(د.ت). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج9، دار الكتب العلمية: بيروت، ص15، 45،24، 230.

الشرعية، وكذلك في الكتب وخصوصًا في كتب الأشعار والدواوين، القلم الديواني: الذي اشتق مباشرة من خط التوقيع القديم، القلم الديواني الجلي، وهو المستعمل في الدواوين السلطانية بتركيا لكتابة المراسيم، والدبلومات Les diplomes (الفرمانات والبراءات) على جميع أنواعها، والآخر أصغر منه، وهو وإن يكن قد قل استخدامه بعض الشيء إلا أنه مستعمل كثيرًا في المحاكم الدينية والشرعية التي تستعمل أيضًا خط التعليق، أما الهمايوني فهو نفسه الخط الديواني الكبير، ويسمى عندهم (جلي ديواني) أي القلم الديواني الجلي، وقد استعمل لكتابة الفرمانات السلطانية المتعلقة بالوسامات، وتمتد الحروف النهائية في الخط الديواني، وخصوصًا الجيم، والحاء، والخاء، والعين، والغين إذا جاءت في أواخر الكلم، وكذلك أطراف السين، والشين، والصاد، والضاد، القلم النستعليق: أو الخط الفارسي المنسوخ، وهو يستعمل عند الفرس، قلم الإجازات: وهو يتألف من الخط النسخي، والخط الثلث بتصرف مع بعض زيادات لا توجد في غيره[1]، وقلم التعليق المراد به خطّ وَضعه بعض الْفرس ثمَّ عنوا بِهِ عناية شَدِيدَة حَتَّى صَار يُقَال لَهُ الْخط الْفَارِسِي وَيُقَال لَهُ أَيْضا الْخط الْمُعَلق وَهُوَ خطّ تصعب الإجادة فِيهِ وَهُوَ غير قديم الْعَهْد فَلَا يَنْبَغِي أَن يتَوَهَّم من قَول الْمُتَقَدِّمين بِكَرَاهَة الْخط الْمُعَلق أَنهم يعنون هَذَا بل مُرَادهم بِهِ الْخط الَّذِي أذهبت أَسْنَانه وخلط فِيهِ بَين الْحُرُوف الَّتِي يَنْبَغِي تفرقها وطمس فِيهِ بَيَاض مَا يَنْبَغِي إِظْهَار بياضه، وَيُشبه هَذَا الْخط من وَجه الْخط المسلسل وَهُوَ خطّ مُتَّصِل الْحُرُوف لَيْسَ فِي حُرُوفه شَيْء مُنْفَصِل، وَأما المتقدمون فقد اشْتهر عِنْدهم أَنْوَاع الْخط الْعَرَبِيّ وَقد تصدى لذكرها أَبُو الْفرج مُحَمَّد بن إِسْحَاق الْبَغْدَادِيّ الْمَعْرُوف بِابْن النديم فِي كتاب الفهرست[2].

وأخذ الخط المحقَّق- الذي كان يكتب به الوَرَّاقون- في التحسن حتى عصر الخليفة المأمون، وبدأ في التحوُّل من الشكل الكوفي إلى الشكل الذي هو عليه الآن على يد الأحْوَل الْمحرّر، أحد صنائع البرامكة، ثم أتمَّه بعده الوزير أبو على محمد بن على بن الحسن بن مُقْلَة المتوفى سنة (328هـ/940م) الذي انتهت إليه وإلى أخيه أبي عبد الله جودة الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة وإن بقى فيه تكويفٌ ما[3]، وَلَا يخفي أَنه يُوجد فِي بعض أَنْوَاع الْخط الْعَرَبِيّ مَا تعسر قِرَاءَته حَتَّى على كثير من الحذاق كالخط المسلسل وَهُوَ الَّذِي تتصل حُرُوفه وَلَا ينْفَصل مِنْهَا شَيْء وَكَأن وَاضعه قصد بِهِ أَن يَجعله من قبيل الإلغاز فِي الْخط فَلَا يَنْبَغِي أَن تكْتب بِهِ وَبِمَا شابهه فِي عسر الْحل إِلَّا المذكرات الَّتِي يحب صَاحبهَا أَن لَا يطلع عَلَيْهَا غَيره ويسوغ أَن تكْتب بِهِ المراسلات الْخَاصَّة إِذا كَانَ الْمُرْسل إِلَيْهِ من العارفين بِهِ لَا سِيمَا إِن كَانَا يُحِبَّانِ أَن لَا يطلع عَلَيْهَا غَيرهمَا والحكيم من وضع كل شَيْء فِي مَوْضِعه[4].

الخط في البيئة الصحراوية البدائية:

كانت الأمية تغلب على العرب جميعا، سواء منهم أهل الجنوب أم الشمال، غير أن أهل الجنوب كانوا أكثر إلماما بصناعة الكتابة من أهل الشمال, كما كانوا أسبق منهم إلى معرفة الخط[5]، وكانت الكتابة في الجاهلية شرطًا لا بد منه للعربي ليكون ذا مكانة في قومه، فقد كان من يحسن العوم والرمي والكتابة يسمى كاملًا[6].

وانتشار الكتابات وتناثرها في الأراضي الصحراوية، أمر مُلفت للنظر ويدعو إلى العجب من أمر الأعراب في ذلك العهد الذين كانوا يقرؤون ويكتبون مع أنهم أبناء بادية، وقد عاشوا قبل الإسلام بزمن طويل، ثم إن خطها يلفت إليه النظر أيضًا، فهو خط عربي، ولد من الأم التي نسلت الخط العربي الجنوبي، وهو قريب من الخط الثمودي واللحياني، ويعني هذا أن العرب كانوا يكتبون قبل الميلاد بخط يُمكن أن يُسمى بالقلم العربي الأول، أو القلم العربي القديم الذي منه تفرعت الأقلام العربية المتنوعة فيما بعد، فوجد ما يُسمى بالقلم المسند وبالأقلام العربية الشمالية، مما يدل على أن الصفويين وأمثالهم من الأعراب لم يتأثروا بالثقافة الآرامية مع قربهم منها واتصالهم بها، وطغيانها على الثقافات الأخرى في العراق وفي بلاد الشام، فبقوا مخلصين لقلمهم القديم، فكتبوا به، ولم يستعملوا قلم بني إرم كما فعل "أهل المدر" المقيمين في مدن العراق والشام وقراهما، وكتبوا بلهجاتهم أيضًا ولم يكتبوا بلغة بني إرم كما فعل غيرهم من العرب الحضر[7].

---

[1] رضا، محمد رشيد بن علي.(د.ت). مجلة المنار، ج18، د.ن: القاهرة، ص461.

[2] السمعوني، طاهر بن صالح بن أحمد بن موهب.(1995م). مرجع سابق، ص ص 796، 797.

[3] المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.(د.ت). مرجع سابق، ص263، 507.

[4] السمعوني، طاهر بن صالح بن أحمد بن موهب.(1995م). مرجع سابق ، ص809، 910.

[5] عبد الجبار، عبد الله.(د.ت). قصة الأدب في الحجاز، مكتبة الكليات الأزهرية: القاهرة، ص161، 163.

[6] الأسد، ناصر الدين.(1988م). مرجع سابق، ص37، 38، 54.

[7] علي، جواد.(2001م). مرجع سابق ، ص144.

أول من كتب بالحرف العربي:

اختلفت الأقوال حول أول من وضع الكتابة العربية فقيل: إنه آدم عليه السلام، وقيل إنه إسماعيل عليه السلام، وقيل إنهم جماعة من الملوك أسماؤهم:"أبجد هوز حطي كلمن صعفص"؛ فسميت الحروف الهجائية بأسمائهم، وقيل أن أول العرب الذين كتبوا بالعربية حرب بن أمية عبد شمس تعلم من أهل الحيرة الذين تعلموا من أهل الأنبار[1]، وقيل أن أول من وضع الخط العربي، أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت؛ وهم قوم من الجبلّة الآخرة، وكانوا نزولا مع عدنان ابن أدد، وهم من طسم وجديس[2]، وقيل أن أول من كتب بخط الجزْم - مُرامِرُ ابن مُرَّة وأَسْلم بن سِدرة، وعامر بن جَدَرة، وهم من عرب طَيّ تعلموه من كاتب الوحى لسيدنا هود عليه السلام، ثم علَّموه أهلَ الأَنْبار، ومنهم انتشرت الكتابة في العراق الحيرة وغيرها[3]، ويُروى أن أول من كتب الكتاب العربيَّ والسّريانيّ والكُتُب كلها آدم عليه السلام، قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين وطبخه، فلما أصاب الأرضَ الغرق وجد كلُّ قوم كتاباً فكتبوه، فأصاب إسماعيلُ عليه السلام الكتابَ العربيّ، وكان ابنُ عباس يقول: "أوّلُ من وضع الكتاب العربيّ إسماعِيلُ عليه السلام، وضعه عَلَى لفظه ومَنْطِقه"، والرواياتُ فِي هَذَا الباب تكثر وتختلف[4]، وزاد أنه كان موصولا حتى فرقه بين ولده، يعني أنه وصل فيه جميع الكلمات ليس بين الحروف فرق[5]، وقيل إن نفيس، ونصر، وتيما، ورومه، بنو إسماعيل، وضعوا كتاباً واحداً وجعلوه سطراً واحدا غير متفرق، موصول الحروف كلها، ثم فرقه نبت، وهميسع وقيذار، وفرقوا الحروف وجعلوا الأشباه[6]، وهناك آراء أخرى كثيرة أوردها ابن كثير في البداية والنهاية خلص منها: بأن إسماعيل عليه السلام أخذ كلام العرب من قبيلة "جرهم" الذين نزلوا بمكة قرب السيدة "هاجر" أم إسماعيل عليه السلام، وقد أنطقه الله بها في غاية الفصاحة، إلى أن وصلت إلى الأمة العربية التي نزل القرآن الكريم بلغتها، ومن المعلوم أن الذين كانوا يعرفون الكتابة في عصر النبوة قليلين، منهم الخلفاء الأربعة، ولما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة عمل على نشر تعلم الكتابة، حتى جعل فداء بعض الأسرى -بعد غزوة بدر الكبرى- تعليم نفر من أبناء المسلمين[7].

صورة الحركات قبل التشكيل وإشكالية الرسم العثماني:

رسم كُتاب الحرف العربي الأول الحركات بصورة أحرف، فصورة الفتحة كانت ألفا، وصورة الضمة كانت واواً، وصورة الكسرة كانت ياء، فعلى هذا كتب (لا أوضعوا) و (لا أذبحنه) فجعلوا مكان الفتحة ألفا، وكذلك أولئك، وأولات، جعلوا مكان الضمة واوا، وعلى هذا (وإيتائي ذي القربى) جعلوا مكان الكسرة ياء[8]، لأن العرب لم تكن أصحاب شكل ونقط، فكانت تصور الحركات حروفا، لأن الإعراب قد يكون بها كما يكون بهن، فتدل هذه الأحرف الثلاثة على ما تدل عليه الحركات الثلاث من الفتح، والضم، والكسر، وهذا التعليل يشعر بأن الرسم العثماني اجتهادي اصطلح عليه الصحابة رضي الله عنهم ويوافق رأي من قال إن الرسم العثماني كتب على ما كان عليه واقع الكتابة

---

[1] الشنطي، محمد صالح.(2001م). فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، ط5، دار الأندلس للنشر والتوزيع: السعودية، ص115.

[2] ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي.(1404هـ). العقد الفريد، ط1، ج4، دار الكتب العلمية: بيروت، ص239.

[3] الهوريني، نصر بن نصر يونس الوفائي .(2005م). المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَالِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ، تحقيق وتعليق طه عبد المقصود، ط1، مكتبة السنة: القاهرة، ص51.

[4] القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء.(1997م). الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1، محمد علي بيضون: د.م، ص15.

[5] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين.(1998م). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط1، ج2، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية: بيروت، ص293.

[6] الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض.(1990م). حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق (بذيله: تتمة في نقد الآثار المرفوعة عن الخط والكتابة.)، ط1، مطبعة المدني: القاهرة، ص27.

[7] إسماعيل، شعبان محمد.(د.ت). رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، ط2، دار السلام للطباعة والنشر: القاهرة، ص9.

[8] الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين.(د.ت). غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج1، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ص455، وأنظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، ج2، د.ن: القاهرة، ص277، وأنظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. (1420هـ). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، ج16، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ص64، وأنظر: النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي. (1998م). اللباب في علوم الكتاب، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، ج10، دار الكتب العلمية: بيروت، ص109، وأنظر أيضاً: النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي. (1416هـ). غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق زكريا عميرات، ط1، ج3، دار الكتب العلميه: بيروت، ص478، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين. (1998م). تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط1، ج1، دار الكلم الطيب: بيروت، ص684.

العربية، إلا أن الرسم العثماني حفظ لنا هذا النمط من إعراب القرآن، فكما أن في الزيادة فصاحة وبلاغة، فكذلك في الحذف فصاحة وبلاغة[1].

والرسم العثماني اصطلح عليه الصحابة رضي الله عنهم، وليس توقيفيا، واستدل على ذلك بأن النبي ﷺ لا يقرأ ولا يكتب، ثم إنه لما اختلف زيد بن ثابت ومن معه في كلمة: «التابوت» أيكتبونه بالتاء أم بالهاء رفعوا الأمر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فأمرهم أن يكتبوها بالتاء، فلو كان الرسم توقيفيا بإملاء النبي ﷺ، لأمرهم أن يكتبوها بالكيفية التي أملاها رسول الله ولو كان الرسم توقيفيا لنعتوه[2]، واختلف العلماء في حكم التمسك بالرسم العثماني على ثلاثة أقوال: منهم من تشدد فجعله توقيفيا، بل ومعجزة قرآنية متحدى بها، ومنهم من تساهل فأجاز كتابته بالرسم الإملائي، لأنه الرسم اصطلاحي، بل أوجبه على عوام الناس، لئلا يوقع في تغيير كتاب الله، وهناك من توسط فقال: إن الرسم اصطلاحي، لكن يجب التزامه، ولا تجوز مخالفته، لأن إجماع الصحابة قد انعقد على ذلك[3].

النقط والشكل:

اخْتلفت مناهج أَرْبَاب الْكِتَابَة فِي أَمر الحركات فَمنهمْ من لم يتَّخذ لَهَا علائم فِي الْخط كالسامرة، وَمِنْهُم من اتخذ لَهَا علائم، وَهَؤُلَاء أَقسَام مِنْهُم من اتخذ لَهَا علائم مُتَّصِلَة بالحروف حَتَّى تَتَغَيَّر صُورَة الْحَرْف بِتَغَيُّر حركته كَأَهل الْحَبَشَة فَإِن لكل حرف عِنْدهم صورا شَتَّى تَخْتَلف باخْتلَاف حركته وَمِنْهُم من اتخذ لَهَا علائم لَا تَتَغَيَّر صُورَة الْحَرْف بتغيرها، وَهَؤُلَاء قِسْمَانِ قسم اخْتَارُوا أَن تكون علائم الحركات فِي أَثْنَاء الْكَلِمَة فرسموا حَرَكَة كل حرف متحرك بعده فِي أَثْنَاء السطر كاليونانيين واللاتينيين، وَكَأن هَؤُلَاءِ جعلُوا الْحَرَكَة جزأ من الْكَلِمَة فِي الْكِتَابَة وَبِذَلِك سهلت الْقِرَاءَة وصعبت الْكِتَابَة وَذَلِكَ أَن الكابت بهَا يَغْدُو كَأَنَّهُ يكْتب الْكَلِمَة مرَّتَيْنِ، وَقسم اخْتَارُوا أَن تجْعَل علائم الحركات مُسْتَقلَّة خَارِجَة عَن السطر فتوضع عَلامَة الْحَرَكَة فَوق الْحَرْف المحرك بهَا أَو تَحْتَهُ كالعرب والعبرانيين والسريانيين، وَهَؤُلَاء قد جعلُوا زِمَام الحركات فِي أَيْديهم وَبِذَلِك يتَيَسَّر لَهُم أَن يجروا على مُقْتَضى الْحَال من الشكل عِنْد الْإِشْكَال وَتَركه عِنْد عدم الْإِشْكَال وَتَركه أَو شدَّة الاستعجال[4].

وعُرف أن «السريان» هم أول من وضع الشكل على الكلمات، وذلك عند ما دخلوا النصرانية وأخذوا في نقل الكتاب المقدس إلى لغتهم، وكان الأسقف «يعقوب الرهاوي» أول من اخترع النقط التي كانت ترسم في حشو الحروف وذلك سنة (460 م)، أي قبل الهجرة بنحو من (121)سنة، ثم تحولت تلك النقط إلى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث، وحين انتشر الإسلام، وعمّ بقاعا مختلفة من الأرض، وخاف المسلمون ما خافه، «السريان» من قبل، ففكروا في النقط ثم الشكل، ولعلهم استأنسوا في ذلك بما فعله «السريان» من قبل، وكان أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلي (67 هـ) في خلافة عبد الله بن الزبير، وبدأ «أبو الأسود» في شكل المصحف، بعد ما احتال عليه زياد بن سمية، الذي كان واليا على البصرة في ذلك، وعهد «أبو الأسود» - فيما يقال- إلى كاتب يحسن الكتابة، من بين كاتبين ثلاثين، بعثهم إليه زياد بن سمية، بأن يتولى الشكل، وقال له: خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد، فإذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه، وإذا كسرتها فانقط واحدة أسفله، وإذا ضممتها فاجعل النقطة بين يدي الحرف، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنّة فانقط نقطتين، وأخذ «أبو الأسود» يقرأ القرآن في تؤدة والكاتب يضع النقط، وكلما أتم الكاتب صحيفة نظر فيها «أبو الأسود»، ومضى على ذلك إلى أن أتم المصحف كله، ويُلاحظ أن «أبا الأسود» ترك السكون بلا علامة[5].

ورُوِي عن ابن عباس أنه من ضمن من بدأ كتابة العربية عامر الذي وضع الأعجام، وصحة هذه الرواية وأمثالها عن أصل الخط العربي لا تعنينا في شيء، وذكرها في هذا السياق لأمر واحد لا تعدوه، وذلك أن في هذا القول لابن عباس -إن كان قاله- دليلًا واضحًا على أنه كان يعرف الأعجام، وأن من قبله كانوا يعرفونه؛ وأما إن لم يكن قاله فما زال يحمل من الدلالة ما لا يصح معها أن نغفله، وذلك أن واضع هذا القول وناسبه إلى ابن عباس كان لا بد يعرف أن ابن عباس كان يعرف الأعجام وإلا لما قبل الناس قوله، وذكر السجستاني أن "الحجاج بن يوسف

---

[1] أبي القاسم، أبو داود سليمان بن نجاح.(2002م). مختصر التبيين لهجاء التنزيل، ج1، مجمع الملك فهد: المدينة المنورة، ص204.

[2] المرجع سابق، ص247.

[3] الدليمي، أكرم عبد خليفة حمد.(2006م). جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته)، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت، ص 1.

[4] السمعوني، طاهر بن صالح بن أحمد بن موهب.(1995م). مرجع سابق، ص796، 808.

[5] الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل. (1405هـ). مرجع سابق، ص394.

غيَّر في مصحف عثمان أحد عشر حرفًا، وقد نقبل أن يكون الحجاج هو الذي نقط هذه الكلمة وكانت من قبل غير منقوطة كما يزعمون، ولكن أن يكون غير نقطها فذلك هو ما نقف عنده، ونفهم منه أنها كانت منقوطة قبله، ثم غير هذا النقط، وإلا فالكلمة من غير نقط تحتمل الوجهين ولا سبيل إلى ذكر أن الحجاج قد غير نقطها، والكتابات الحميرية والصفوية والثمودية واللحيانية وحتى النبطية التي يرجح أن الكتابة العربية مشتقة منها غير منقوطة، ولكن المدقق فيها يجد أن الكثرة الغالبة من حروفها يختلف بعضها عن بعض اختلافًا يمنع اللبس والاختلاط، ومن هنا لم تكن في حاجة إلى نقط، وأما الخط العربي فكثير من حروفه متشابهة في الكتابة تشابهًا كاملًا، مختلفة في الصوت اختلافًا تامًّا؛ ولا سبيل إلى التفرقة بينها إلا بالنقط، بل إن هذا التشابه الملحوظ بين الحروف ليكاد يجعلنا نظن أن الحرف منذ أن وجد وجد معه نقطه، وأن النقط ضرورة من ضرورات هذه الحروف منذ نشأتها، إلا إذا كان يفرق بينها بوسيلة أخرى من وسائل الخط توضحها وتمنع اختلاطها مع غيرها، وإلا لكانت الكتابة، وخاصة الطويلة منها، عسيرة القراءة لا سبيل إلى فهمها، ولا عبرة في تجريد القرآن الكريم فإن الأصل فيه أن يكون محفوظًا في الصدر، وأن يرجع الحافظ إلى الكتاب للتذكر، أو أن يتلقاه المتعلم من معلم يحفظه إياه ثم يعود إلى الكتاب للاستذكار[1].

وقد مر الضبط بثلاث مراحل، الأولى على يد أبي الأسود الدؤلي من أصحاب الإمام علي رضي الله عنه، والثانية على يد يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم في عهد الحجاج وبإشرافه، والثالثة على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة بضع وستين ومائة في عهد الدولة العباسية وهذه آخر مرحلة من مراحل ضبط القرآن، وعليها استقر إلى يومنا هذا، وطرأت عليه إضافات وتحسينات بسيطة[2]، ومكث الناس يقرؤون في مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه نيفاً وأربعين سنة، إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف، وانتشر بالعراق[3]، ثم طلب الحجاج بن يوسف الثَّقفي إلى كُتّابه أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة بعد أن كثر التصحيف نتيجةً لدخول الأعاجم في الإسلام، فتولَّى عملية الإصلاح الثاني في الكتابة العربية نَصْر بن عاصم اللَّيْثي ويحيى بن يَعْمُر العدواني فقَّررا وضع نُقَط لتمييز الأحرف المتشابهة، ولما كان هذا الإصلاح يستدعي اشتباه نُقَط الشكل بنُقَط الأعجام قَرَّر نَصْر ويحيى أن تكون نُقَط الشكل بالمداد الأحمر ونُقَط الأعجام بنفس مداد الحروف، وأخيراً وضع عالُم اللغة الشهير الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي نحو سنة (170هـ/879م) طريقة جعل فيها الشكل بنفس مداد الكتابة وهى العلامات التي مازالت تستخدم إلى الآن[4]، وأصبح الْخط الْعَرَبِيّ بعد وضع علائم الحركات مَعَ النقط وافيا بِتمَام الْغَرَض بِحَيْثُ صَارَت الْكَلِمَات الْعَرَبيَّة يقْرؤهَا الْوَاقِف على حروفها وحركاتها من غير توقف، وَهَذِه المزية قَلما تُوجد فِي خطّ أمة من الْأُمَم حَتَّى إِن بعض الْأُمَم الْمُتَقَدّمَة فِي الْعُلُوم والمعارف يحْتَاج الْمَرْء بعد تعلم خطها أَن يتَعَلَّم قِرَاءَة جلّ الْكَلِمَات الَّتِي فِي لغتهم كلمة كلمة حَتَّى يَتَيَسَّر لَهُ بعد ذَلِك أَن يقْرَأ فِي كتبهمْ قِرَاءَة خَالِيَة من الشوائب إِلَّا أَن كِتَابَة مثل اللُّغَة الفارسية بهَا لَا يَخْلُو من إِشْكَال لمُخَالفَة طباع اللُّغَات السامية لطباع غَيرهَا من سَائِر اللُّغَات، وَمِمَّا يلفت النظر أَن الْأُمَم الغربية مَعَ اتِّفَاقهم فِي صور الْحُرُوف الهجائية قد اخْتلفُوا فِي لفظ كثير مِنْهَا فترى كثيرا من الْأَلْفَاظ إِذا كتبت بحروفهم يقْرؤهَا كل فريق مِنْهُم على وَجه يُخَالف غَيره، وعَلى ذَلِك فَلَا تستغرب اخْتلَافهمْ فِي أَسمَاء كثير من المدن وَنَحْوهَا، وَنَشأ من ذَلِك أَن صَارت أغلب الْأَلْفَاظ المصورة بحروفهم إِذا كَانَت من اللُّغَات الغربية عِنْدهم كالصينية والهندية والفارسية مَجْهُولا لَا يعرف كَيفَ يلفظ بِهِ عِنْد أَهله وَذَلِكَ أَن الَّذين تلقوا أَولا تِلْكَ الْأَلْفَاظ من العارفين بهَا قد كتبوها على مُقْتَضى اصطلاحهم فَإِذا قَرَأَهَا غَيرهم من الْأُمَم الْأُخْرَى قَرَأَهَا كل فريق مِنْهُم على مُقْتَضى اصْطِلَاحه، فَنَشَأَ من ذَلِك اخْتِلَاف فِي اللَّفْظ وَكَانَ الْوَاجِب عَلَيْهِم كَمَا اتَّفقُوا فِي صور الْحُرُوف مَعَ اخْتِلَاف لغاتهم أَن يتفقوا على مَا تدل عَلَيْهِ بِحَيْثُ إِنَّه إِذا كتبت كلمة بحروفهم أَن تكون قراءتهم لَهَا على وَجه وَاحِد[5]، وغالب الظن أنه كما ادخل النقط والشكل في المصاحف سيأتي على الناس زمان يدخلون فيها علامات الترقيم كعلامة الاستفهام والتنصيص والتأثر، والحقيقة أنه لا بأس من إدخالها في المصاحف لأنها من دواعي سرعة الفهم ومن محسنات الكتابة لا دخل لها في جوهر الحروف والكلمات ولا تغير اللفظ ولا المعنى فيكون إدخالها في المصاحف كإدخال النقط والشكل ووضع علامات التجويد فوق الكلمات وعلامات

---

[1] الأسد، ناصر الدين.(1988م). مرجع سابق، ص37، 38، 54.

[2] لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية. (2009م). فتاوى الشبكة الإسلامية، ج2، ص1224.

http://www.islamweb.net

[3] حاجي خليفة، مصطفي بن عبد الله.(1941م). مرجع سابق، ص713.

[4] المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.(د.ت). مرجع سابق، ص263.

[5] السمعوني، طاهر بن صالح بن أحمد بن موهب.(1995م). مرجع سابق، ص796، 808.

الضبط فيها، وكما أنه يجب تشكيل المصاحف صيانة للقارئ من اللحن، فكذلك قد يحرم كتابتها ببعض الخطوط كخط سياقت وشكسته؛ لأن هذين الخطين لا يعرفهما أحد في البلدان العربية ويندر جدا من يعرفهما في بلاد الترك والعجم، فكتابة المصاحف بالخطين المذكورين يؤدى إلى الخلل والتحريف وهذا لا يجوز، فان عم انتشارهما في البلاد الإسلامية ارتفع المحظور ولم يبق للتحريم وجه[1].

ترتيب الحروف:

خالف ترتيب حروف الهجاء العربية ترتيب الحروف الأخرى المرتبة على أبجد هوز... إلخ، وهو الترتيب القديم المعروف عند أكثر الأمم السامية، وأما العربية فتبتدئ هكذا: اب ت ث... إلخ، مع أن التاء في اللغات الأخرى هي آخر حروفها، وهذا الترتيب حديث في اللغة العربية وضعه نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر العدواني في زمن عبد الملك بن مروان، وهو مبني على مشابهة الحروف في الشكل، فابتدأ بالألف والباء؛ لأنهما أول الحروف في ترتيب أبجد، وعقبا بالتاء والثاء لمشابهتهما الباء، ثم ذكر الجيم من حروف أبجد، وعقبا بالحاء والخاء للمشابهة، ثم ذكرا الدال، وعقبا بالذال، وقبل أن يذكرا الزاي ذكرا الراء المشابهة لها لتكون الزاي مع باقي أحرف الصفير؛ ولذلك ذكرا السين بعد الزاي، وعقبا بالشين للمشابهة، ثم ذكرا الصاد، وعقبا بالضاد، ثم رجعا للطاء من أبجد، وعقبا بالظاء وأخرا أحرف (كلمن) حتى يفرغا من الأحرف المتشابهة، وذكرا العين، وعقبا بالغين، ثم ذكرا الفاء، وعقبا بالقاف، ثم ذكرا أحرف كلمن والهاء وأحرف العلة، ولكون ترتيب أبجد يختلف عند المغاربة عن ترتيبها عند المشارقة؛ حيث ترتيب الحروف عند المغاربة بعد ضم كل حرف إلى ما يشابهه في الشكل هكذا: اب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ وي، وفي الخط العربي فضلاً عن الحروف الشرقية الأخرى ستة أحرف هي: الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين (ثخذ ضظغ)، وقد اقتضتها طبيعة اللغة العربية، وهذه الأحرف لا مخرج لها في اللغات الأخرى إلا بتركيب مع حرف آخر، والضاد منها خاصة باللغة العربية دون سواها؛ وهذا هو سبب تلقيب العرب أو المتكلمين بالعربية بلقب (الناطقون بالضاد)، وتمييزهم بها، وهنا ملاحظة ينبغي الإشارة إليها، وهي أن هذه الأحرف الستة لا تستعمل غالبًا في اللغات الإسلامية التي تكتب بالخط العربي إلا لكتابة الكلمات العربية الدخيلة في لغاتهم؛ ولذلك فهم لا ينطقون بها تمامًا إذا قرءوها في نصوص عربية، بل يشركونها مع حرف آخر، فمثلاً إذا أرادوا النطق (بالطاء) أو (بالضاد) تكلفوهما، فالطاء تخرج بين التاء والطاء كالسلطان والطوفان، والضاد تخرج كالزاي المفخمة في نحو رمضان وهكذا: ولما كانت هذه الأحرف معدومة عندهم فقد استعملوا حروفًا أخرى معدومة في العربية تقتضيها طبيعة لغاتهم[2].

وضبطت الحروف العربية بثمانية وعشرين (28) حرفا، وخضعت هذه الحروف لترتيبات مختلفة تفاوتت في الوجاهة والمعايير المستعملة، وصنفت هذه الحروف وفق معيار الأصول التاريخية، ففرّعت بحسبه إلى حروف ساميّة (من أصل سامي) وأخرى عربية، أما السّاميّة فعددها اثنان وعشرون (22) حرفا وهي : أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت، وأما العربية فهي ستة (6) أحرف أضافها العرب إلى الأصل السامي وانفردوا بها، وتسمى "الروادف" وهي : ث، خ، ذ، ض، ظ، غ، وسمي هذا الترتيب "الترتيب الأبجدي"، نسبة إلى الكلمة الأولى من الكلمات التي جمعت فيها هذه الحروف حسب ترتيبها التاريخي (ساميّة فعربية)؛ تيسيرا لحفظها وجريانها على الألسنة، وهذه الكلمات هي: أَبْجَدْ، هَوَّزْ، حطّي ،كَلَمُنْ، سَعْفَصْ، قَرَشَتْ، ثَخَذْ، ضَظَغْ. أما الحروف كاملة فترتيبها التالي : أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت، ث، خ، ذ، ض، ظ، غ، ورتبت الحروف الهجائية العربية ترتيبا شكليا يعتمد "الأشباه والنظائر" (أي تشابه الحروف من حيث رسمها) ويرجع هذا الترتيب إلى اللغوي نصر بن عاصم الليثي (ت 90 هـ / 708 م) بتكليف من الحجاج بن يوسف الثقفي (ت هـ 95 / 714 م) وسمي هذا الترتيب اصطلاحا بالترتيب الهجائي تمييزا له عن الأبجدي، نظام الحروف فيه : أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي، ويعتبر هذا الترتيب أكثر تواترا في الاستعمال، ورتبت بمقتضاه المادة اللغوية في بعض المعاجم القديمة وفي كل المعاجم الحديثة، ويعتمد هذا الترتيب اعتمادا تاما في إنجاز الفهارس الملحقة بالمصنفات والأبحاث، فعلى أساسه ترتب المصادر والمراجع، ورتبت الحروف الصوتية العربية ترتيبًا صوتيًّا حيث اعتمد على مخارج الحروف وابتدأ من الحلق، ويرجع هذا الترتيب إلى عالم اللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي 100) هـ170 هـ - 718م 786م)، ولعل هذا الترتيب هو الأقل شهرة، نظام الحروف فيه : ع، ح، هـ،

---

[1] الكردي، محمد طاهر بن عبد القادر.(1946م). مرجع سابق، ص182، 185.

[2] رضا، محمد رشيد بن علي.(د.ت). مرجع سابق، ص461، وأنظر: الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفي الإستانبولي الحنفي.(د.ت). روح البيان، ج5، دار الفكر: بيروت، ص333.

خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، ت، د، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ي، أ، وهناك ثلاثة أنواع من ترتيبِ الأحرف في الأبجدية العربية، حيث بدأ استخدام" الترتيب الأبجدي " في كتابة الأرقام، وكان يُستقى هذا الترتيبُ من الأبجدية الفينيقية، ولذا فهو مشابهٌ للأبجديات الأخرى الصادرة عن الفينيقيين، كالأبجدية العبرية مثلا، أما نظام "الترتيب الهجائي"، فهو الذي يتم استخدامه الآن في ترتيب قوائم الأسماء والكلمات أثناء فرزها، كما هو الحال في أدلة الهواتف والقواميس، يعتمد نظام "الترتيب الهجائي" على الجمع بين الأحرف المتشابهة شكليا، وأما الترتيب الصوتي فيُعنى بدراسته على الغالب قُراء القرآن الكريم، وحيث أن الأبجديةُ العربيةُ تملك (28) حرفاً أساسيا، وهناك نماذج معدلةٌ من هذه الأحرفِ في اللغات غير العربية التي تَستخدم الأبجدية العربية، مثل الفارسية والعثمانية والأوردو والملايو، حتى أن بعض هذه اللغات لديها عددَ أحرفٍ أكبر من عدد أحرف اللغة العربية[1].

خصائص الخط العربي وإشكالياته:

بالخط العربي مجموعة من الخصائص كالتالي: تشابه كثير من الحروف العربية في الرسم كالباء والتاء والثاء، والفاء والقاف، والطاء والظاء، والصاد والضاد، والسين والشين مع إهمال النقط والشكل في الكتابة العربية لفترة طويلة، مما جعل العين تتشبث بنطق معين لا تجد منه مفرا، واختلف الخط العربي بين المشارقة والمغاربة اختلافا بينا، فأحيانا ينسخ ناسخ شرقي كتابا بخط مغربي، وهو يجهل رسوم ذلك الخط المغربي، فيقع في التصحيف[2]، وفيه أشكال متفقة لحروف مختلفة عجم بعضها دون بعض ليزول اللبس وقد يتفق في غيرها من الخطوط أن تختلف أشكال الحروف فلا يحتاج إلى النقط فوصف الخط العربي بأنه معجم لهذه العلة، وقيل: حروف المعجم أي حروف الخط المعجم كما يقال: حروف العربي أي حروف الخط العربي[3]، **و**مِن خصائصه أن الرسمَ الواحدَ للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفةٍ؛ تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدانَ الشكل في الخط العربي يمكن أن يَجعل للكلمةِ حالاتٍ مختلفة من ناحية موقعها من الأعراب فهذه التكميلاتُ للرسم الكتابي[4].

وفي علم الخط العربي نرى الفصل والوصل، متمثلا في رسم الكلمة حين تكتب موصولة الحروف أو مفصولا بعضها عن بعض، في "همزة الوصل"[5]، والخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة تبعا لاختلاف النقط الموضوعية فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط، بل كذلك في حال تساوي المقادير الصوتية، يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة الغربية الأصلية ما يحدده إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وهذا إلى اختلاف دلالتها، وإذن فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط أو اختلاف الحركات في المحصول الموحّد القالب من الحروف الصامتة كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطا أصلا، أو لم تتحرّ الدقة في نقطه أو تحريكه، وهذا ينسجم مع الرأي الذي ينكر تواتر القراءات السبعة، ويرى أنها نتيجة لاختلاف الرواية والاجتهاد[6].

وتتم كتابة الأبجدية العربية بوصل معظم حروف الكلمة الواحدة بالحروف المجاورة لها في نفس الكلمة، وبخلاف الكتابة الموصولة في الأبجدية اللاتينية، يختلف شكل نفس الحرف في العربية إذا تم وصله في أول الكلمة بما يليه، أو في وسط الكلمة بما قبله وبعده، أو في آخر الكلمة بما قبله. ولذلك، فإن كل حرفٍ من الحروف الأبجدية يملك عدة أشكال عند الاتصال، ويُحَدَدُ هذا الشكلُ بناءً على موقع الحرف من الكلمة، فقد يأتي الحرف الواحد على شكلٍ من أربعة أشكال شكلٍ في أول الكلمة (بدئي)، أو وسط الكلمة (وَسَطي)، أو في آخرها (ختمي)، أو منعزلا عن أي اتصال (معزول)، وهناك ستةُ أحرفٍ في الأبجدية العربية لا تأتي إلا على شكلين فقط: الشكل المعزول، والشكل الختمي، ولذا تُحَدِدُ هذه الأحرُفُ الستةُ شكل الأحرف التي تليها، وتجبر تالياتها من الأحرف على أخذ شكلٍ من شكلين أيضا: إما الشكل البدئي، أو الشكل المعزول، فكأنما هناك انقطاعٌ في الكلمة الواحدة، تبدو بعض الحروف بنفس الشكل تقريبا إذا تم استخدامها في أيٍ المواقع الأربعة، في حين تُظهر أحرفٌ أخرى تنوعا كبيرا، وهناك تشابهٌ بين الشكلين "البدئي" و"الوسطي" في أغلب الأحرف، ولكن يجب وصل بعض الحروف

---

[1] https://ar.wikipedia.org/wiki/أبجدية-عربية

[2] مناهج جامعة المدينة العالمية.(د.ت). أصول البحث الأدبي ومصادره، جامعة المدينة العالمية: المدينة المنورة، ص344.

[3] الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي.(1982م). سر الفصاحة، ط1، دار الكتب العلمية: القاهرة، ص25.

[4] شاكر، أحمد بن محمد عبد القادر.(1407هـ). الكتاب والسُنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر، ومعه: «الشرع واللغة»، ط3، دار الكتب السلفية: القاهرة، ص67، وأنظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح.(2007م). القرآن ونقض مطاعن الرهبان، ط1، ج1، دار القلم: دمشق، ص644.

[5] سلطان، منير.(د.ت). الفصل والوصل في القرآن الكريم، ط2، منشأة المعارف: الإسكندرية، ص13.

[6] الحلبي، نور الدين محمد عتر.(1993م). علوم القرآن الكريم، ط1، مطبعة الصباح: دمشق، ص151.

في الموقع الوسطي بخطٍ أفقيٍ قصير قبله مع الحرف السابق له، ويتشابه الشكلان "الختمي "و"المعزول" أيضا في أغلب الأحرف، ويُسبقُ الشكل "الختمي" بخطٍ أفقي قبله ليوصله بحرفه السابق أيضا، وتنتهي بعض الحروف على شكل لولبٍ أو خطٍ أطول في جهة اليسار، لإنهاء الكلمة بأناقةٍ زخرفيةٍ هادئة، بالإضافة إلى ذلك، تكتب بعض تركيبات الأحرف على شكل مُرَكبات (أشكالٍ خاصة)، بما في ذلك "اللام ألف": لا، وهناك ستة أحرفٍ لا تتصل بالأحرف التالية، ولذلك فإن نماذجهم البدئية تطابق نماذجهم المعزولة، وشكلهم في وسط الكلمة (وسطي) يطابق شكلهم في آخرها، وهذه الأحرف هي (أ، د، ذ، ر، ز، و)، واستُحدِث حرفِ الألفِ في الأبجدية الفينيقية كعلامةٍ ساكنةٍ تشير إلى صوت الهمزة، التوقف الحلقي، أما اليوم فقد فقدت الهمزة صفة السكون، وأصبحت مع حرفي الياء والواو ما يسمى أم القراءة: أي أنها علامةُ سُكونٍ تأتي محل متحركٍ طويل، أو تأتي كحرفٍ داعمٍ لبعض أنواع التشكيل (المد والهمزة)، وتستخدم العربية علامة التشكيل "الهمزة"، لإعلان التوقف الحلقي، وتُكتبُ الهمزةُ إما منفصلةً أو مع ناقلٍ لها : وحدها :ء، مع الناقل: فوق أو تحت الألف، فوق الواو، فوق الياء غير المنقوطة، ولا يتم وصل الحروف التي تفتقد إلى صيغةٍ "البدئية" أو "الوسطيةٍ" أبدا مع الحروف التي تليها، ولو كان هذا داخل كلمةٍ واحدة، أما الهمزة، فليس لديها سوى نموذج واحد، لأنها لا توصل أبدا بحروفها المجاورة، ولكن الهمزة أحيانا ما تقرن بواو أو ياء أو ألف، وفي تلك الحالة تتفاعل كما تتفاعل الواو أو الياء أو الألف العادية، وتكتب الوقفة الحلقية (الهمزة) بعلامة نصف دائرة يمنى، أما علامة نصف الدائرة اليسرى، فإنها ترمز إلى صوتٍ بلعومي أو لسانيٍ بلعومي أو لسانيٍ مختلف، والتركيبة الحرفية الإلزامية الوحيدة هي ضم اللام مع الألف: لا، أما جميع التركيبات الحرفية الأخرى (كالياء والميم مثلا) فهي اختيارية، اللام ألف (المعزولة:/la:/ +) لا، اللام ألف (في نهاية أو وسط الكلمة: /la:/ +) ـلا، وعلامة الشدة يشير إلى تضاعف ساكن، والتشديد هو مضاعفة صوتٍ ساكن، فبدلا من كتابة الحرف مرتين كما في الإنجليزية، تُضافُ علامةُ الشدةِ فوق الحرف الساكن، (والمصطلح العام لهذه العلامات يسمى التشكيل)، وعندما تستخدم الشدة على حرفٍ عليه كسرة، يمكن كتابة الكسرة بين الشدة والحرف، بدلا من كتابتها في مكانها الطبيعي، والتنوين هو إضافة نون زائدةٍ إلى اسم أو نعتٍ للإشارة إلى حالةٍ نحوية، ويتم التنوين باللغة العربية من خلال مضاعفة الحركة التي في آخر الكلمة، وهناك ثلاثة أنواعٍ من التنوين: الضم والفتح والكسر، وعادةً ما يُكتبُ تنوين النصب مع الألف، أو التاء المربوطة أو فوق الهمزة القائمة بذاتها، ويجب أن تُكتبَ الألف دائمًا، إلا في الكلمات المنتهية بتاءٍ مربوطةٍ أو همزةٍ أو في حالة الممنوعات من الصرف، ويستخدم التنوين في اللغة العربية الفصحى فقط، والأبجدية العربية هي أبجديةٌ غير صافية فأحرف العلة الطويلة تُكتب بينما لا تُكتب أحرف العلة القصيرة، ولا يمكن اعتبار العربية المكتوبة كاملةً إلا بتدوين أحرف العلة القصيرة، والتي هي ضروريةٌ، فهذه الأحرف تنقل معلوماتٍ نطقيةً لا يمكن نقلها للقارئ بأي طريقةٍ أخرى، وعلامات أحرف العلة إضافةً متأخرةً إلى نظام الكتابة العربية، مثل ما كانت الحروف المنقوطة أيضا، ويمكن إدراج حروف العلة القصيرة في الحالات التي لا يمكن فيها حل غموض الكلمات من خلال السياق فقط، أو ببساطةٍ أينما كانت هذه الحروف تعتبر جزءا من جمالية النص، يمكن كتابة أحرف العلة بعلامات تشكيلٍ فوقها أو تحتها، أو تحت الساكن السابق لحرف العلة في مقطع الكلمة، وتأتي كل حروف العلة العربية (سواءً كانت طويلةً أو قصيرةً) بعد حرفٍ ساكن، فكلمات "علي" و"ألف" تبدأ بحروفٍ ساكنةٍ مثلا، أحرف العلة الطويلة: إذا جاءت ألفٌ طويلةٌ بعد أي ساكنٍ (بخلاف الهمزة)، فإنها تكتب بعلامة ألفٍ صغيرة على الحرف الساكن، بالإضافة إلى ألفٍ بعدها، والياء الطويلة تكتب على شكل علامةٍ لياءٍ صغيرةٍ بالإضافة إلى حرف ياء، وتكتب الواو الطويلة على شكل علامةٍ لواوٍ صغيرةٍ بالإضافة إلى حرف الواو، ومد الألف الطويلة التي تأتي بعد همزةٍ يمكن كتابتها على شكل ألفٍ ممدودة أو على شكل همزةٍ قائمةٍ بذاتها ملحقةً بألف[1].

إذن فاختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطًا أصلًا، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه، قضية النقط والشكل، والحركات الإعرابية، أهي السبب فيما وقع من اختلاف القراءات، فكل زيادات في الرسم، حتى ولو كان الهدف منها التنسيق والتنظيم، والبيان كرهوها، واستمر هذا التيار المحافظ حتى عصرنا الحاضر، وأسهمت فيه لجنة الفتوى بالأزهر، وعندما سئلوا عن كتابة المصحف بخط الإملاء المعتاد أفتوا بعدم جواز ذلك التزامًا بما كان عليه الصحابة والتابعون، ورأى حفني ناصف وجوب المحافظة على الرسم العثماني لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة، وفي المحافظة احتياط شديد لبقاء القرآن على أصله لفظًا وكتابة، فلا يفتح فيه باب الاستحسان، رأي المطالبين بالرسم الإملائي، في مقدمة هذا الرأي يؤكدون أن الهدف تيسير القرآن للناشئة حتى يقرؤه صحيحًا دون أن تعترضهم صعوبات الرسم، وقد بنوا حجتهم على عدة أسس، منها أن الرسم العثماني

[1] أبجدية-عربية/https://ar.wikipedia.org/wiki

ليس توقيفيًّا، وإنما كتب المصحف بالخط المتعارف عليه حينذاك، وعندما كان كتبة الوحي يكتبون ما ينزل من آيات ما أوصاهم الرسول ﷺ بكتابة معينة، أو رسم معين أو زيادة أو نقص، ولو فعل لآمنا به ولحرصنا عليه، ولكان هذا الرسم توقيفيًّا كما قالوا، بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من هذا وقالوا: إن ما حدث إنما هو خطأ من الكتاب[1].

كتابة الأرقام:

توجد (3) أنواع من الأرقام المستعملة في الكتابة العربية؛ الأرقامُ العربية المشرقية المهيمنة في العالم العربي، والأرقام السندية التي يتم استخدمها في إيران وأفغانستان وباكستان والهند، ويشار إلى الأرقام المشرقية أحيانا باسم الأرقام الهندية وقد عرفها العرب في أيام أبي جعفر المنصور عندما قدمت مجموعة من علماء الهند وكان معهم كتاب "السد هانتا" السند هند، فأقتبس العرب الأرقام منه وهذبوها بما تعرف الآن بالسندية المعربة إلى أن ابتكر العرب نظام أرقام آخر هندسي يلاءم أنظمة الكتابة والتصنيف عرفت بالأرقام العربية، ويُطلقُ على الأرقامِ العربيةِ في المغرب العربي وأوروبا وبقية العالم الغربي اسما ثالثا هو "الأرقامُ العربية الغربية"، ويتم حاليا استخدام الأرقام الغربية المعتادة في معظم الدول القائمة اليوم في شمال أفريقيا؛ أما في العصور الوسطى، فقد كانت تُستخدمُ أرقامٌ مختلفةٌ قليلا، والتي انبثقت عنها الأرقام العربية-الغربية عن طريق إيطاليا، وتكتب الأرقام العربية من اليمين إلى اليسار مثل أحرف الأبجدية العربية، على الرغم من أن موضع الآحاد هو في أقصى اليمين دائما، وأرقام المئات أو الآلاف (القيم الأعلى) هي في أقصى اليسار، تماما كما هو الحال مع الأرقام الغربية "العربية"، يتم قراءة أرقام الهاتف من اليسار إلى اليمين، بالإضافة إلى ذلك، يمكن استخدام الأبجدية العربية لتمثيل الأرقام(حساب الجمل)، ويستند هذا الاستخدام إلى ترتيب النظام الأبجدي، فحرف الألف يمثل الرقم (1)، والباء يمثل الرقم (2) والجيم يمثل الرقم (3) ...تمثل الياء الرقم (10)، وتمثل الكاف الرقم (20)، وتمثل اللام الرقم (30)... تمثل الراء الرقم (200)... تمثل الغين الرقم (1000)[2].

عناية الملوك والأمراء بتطوره:

عنى خلفاء وملوك الإسلام عناية ملحوظة بالخط العربي وتجويده وتطويره، فعلى سبيل المثال لا الحصر عنى الملوك الفاطميون ومن بعدهم به فجملوا به قصورهم، وعروشهم، وأدوات منازلهم، إلى غير ذلك مما لا تزال آثارهم بمصر إلى اليوم تنطق به، وحين انتقلت الخلافة إلى الدولة العثمانية كانت للخلفاء العثمانيين عناية بتحسين الخط العربي وتهذيبه، فأنشئت في الآستانة سنة (1326ه) مدرسة لتعليم الخط والنقش، ثم حملت مصر العبء بعد ذلك، فأنشئت في القاهرة مدرسة لهذا الغرض، وشجع الملوك والسلاطين هؤلاء الخطاطين على كتابة المصاحف، التي كانوا يحبسونها على المساجد، بما أغدقوا عليهم من نعم[3].

أثر الخط في كتابة المصحف:

لَمْ يَلْتَفِتْ الْقُرَّاءُ إِلَى مَذْهَبِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقِرَاءَةِ إِذَا خَالَفَ ذَلِكَ خَطَّ المصحف، وصار إتباع حروف المصاحف كَالسُّنَنِ الْقَائِمَةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يتعداها، وهنا يتبادر سؤال مُلح، هَلْ يَجُوزُ كِتَابَةُ الْقُرْآنِ بِقَلَمٍ غَيْرِ الْعَرَبِيِّ؟ يحتمل الجواز لأنه قد يحسنه من يقرأه بِالْعَرَبِيَّةِ، وَالْأَقْرَبُ الْمَنْعُ كَمَا تَحْرُمُ قِرَاءَتُهُ بِغَيْرِ لِسَانِ الْعَرَبِ، وجرى الخط على وجوه فيها ما زيد عليه عَلَى اللَّفْظِ وَمِنْهَا مَا نَقَصَ وَمِنْهَا مَا كُتِبَ عَلَى لَفْظِهِ وَذَلِكَ لِحِكَمٍ خَفِيَّةٍ وَأَسْرَارٍ تَصَدَّى لَهَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرَّاكِشِيُّ الشَّهِيرُ بِابْنِ الْبَنَّاءِ فِي كِتَابِهِ عُنْوَانُ الدَّلِيلِ فِي مَرْسُومِ خَطِّ التَّنْزِيلِ وَبَيَّنَ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْرُفَ إِنَّمَا اخْتَلَفَ حَالُهَا فِي الْخَطِّ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ أَحْوَالِ مَعَانِي كَلِمَاتِهَا[4]، وكان ابن خلدون "ت 808هـ" أهم من ادعى بعد ابن قتيبة دعوى وقوع الغلط من الصحابة حيث رسموا المصاحف، وقد بني مذهبه على أن أهل الحجاز أخذوا الكتابة من حِمْيَر -وهو ما ينفيه البحث الحديث- إلّا أنهم لم يكونوا مجيدين لها شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو، ثم يقول: فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسُّط؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش، وبعدهم عن الصنائع، وما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف؛ حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، وخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند

---

[1] الطويل، السيد رزق (1985م). مدخل في علوم القراءات، ط1، المكتبة الفيصلية: القاهرة، ص261، 262، 266، 276.

[2] أبجدية-عربية/https://ar.wikipedia.org/wiki

[3] الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل. (1405ه). مرجع سابق، ص394.

[4] الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر.(1957م). البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، ج1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه: القاهرة، ص380.

أهلها، ثم اقتفي التابعون من السلف رسمهم فيها تبرّكًا بما رسمه أصحاب رسول الله ﷺ، من بعده، كما يقتفي لهذا العهد خطّ ولي أو عالم تبرّكًا، ويتبع رسمه خطأ أو صوابًا، وأين نسبه ذلك من الصحابة فيما كتبوه، فاتبع ذلك، وأثبت رسمًا، ونبه العلماء بالرسم على مواضعه، ثم يقول أيضًا: ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفَّلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل، ويقولون في مثل زيادة الألف في "لا أذبحنه": إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في "بأييد": تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلّا التحكُّم المحض، وما حملهم على ذلك إلّا اعتقادهم أن في ذلك تنزيهًا للصحابة عن توهُّم النقص في قلة إجادة الخطِّ، وحسبوا أن الخط كمال فنزهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وذلك ليس بصحيح، ثم يستمرُّ ابن خلدون في بيان أن الخط ليس بكمالٍ في حق الصحابة[1].

وقد أحصى المحصون لفريق من الخطاطين، الذين وقفوا أقلامهم على كتابة المصاحف، ما كتبوا من مصاحف، فإذا هذا الإحصاء يطالعك بأن منهم من كتب ألف مصحف، مثل: محمد بن عمر عرب زاده، وأن منهم من كتب خمسمائة، أو قريبا منها، مثل: ابن الخازن الحسين بن على، والقيصري محمد بن أحمد، والكردي عمر بن محمد، وكان من بين هؤلاء الخطاطين من له ألوان من الإبداع في كتابة كتاب الله، منهم من كتب المصحف في ثلاثين ورقة، وهو اللاهوري محمد روح الله، فلقد كتب مصحفين على هذا النحو ملتزما بأن يكون أول كل سطر من الأسطر كلمة أولها حرف الألف، غير السطر الأول، وكتب على بن محمد مصحفا في درج من الورق بقلم النسخ، طوله سبعة أمتار وعرضه ثمانية سنتيمترات، ومن هذه الإبداعات جملة تحتفظ بها دار الكتب المصرية، ومكتبة الأزهر، ومكتبة الروضة بالمدينة، كما أن ثمة مصاحف بدار الكتب المصرية بخطوط مختلفة، منها: مصحف بالخط الكوفي، وهو صورة مصورة عن مصحف عثمان رضى الله عنه، ومصحف بقلم كوفي على رق غزال، يقال إنه بقلم الإمام جعفر الصادق (148هـ)[2].

وترجع نشأة قسم كبير من الاختلافات في قراءات القرآن إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط، بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات، الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالتها، وإذًا: فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في المحصول الموحد الغالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات، في نص لم يكن منقوطا أصلا، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه، والقراءة كانت سابقة على الرسم، وأنها كانت تتلقى مباشرة عن رسول الله ﷺ بالأسانيد الصحيحة، ولم تكن القراءة تابعة للرسم[3].

ويقول طه حسين أن القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولا كثير، وليس منكرها كافرا ولا فاسقا ولا مغتمزا في دينه، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها، وهناك سبب قوي لظهور القراءات لأن مصحف عثمان كتب بغير نقط ولا شكل، ولكن الحق الذي لا يمارى فيه، أن القراءات سنة متبعة نقلت بالرواية والمشافهة من في رسول الله ﷺ، وهي قرآن لا تنفك عنه، وهي ليست مغايرة له، بل هي ألفاظ مختلفة نزل بها الروح الأمين بعرضات متعددة، ولم تكن القراءات وليدة خط أو رسم أو عدم شكل وضبط لكتاب الله تعالى[4]، وقال البعض بوجوب أن يكون القرآن على شكل واحد وبلفظ واحد، وأن هذا الشكل الواحد واللفظ الواحد رُسِمَ بهذا الرسم الذي من خصائصه أن الكلمة الواحدة، قد تُقْرَأ بأشكال مختلفة تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدانَ الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب، وَبَنَوْا على ذلك أن هذا الرسمَ بما يحتمل في النقط والحركات كان السبب الأوّلَ لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطُه أو شكلُه من القرآن[5]، وقد باشر كتّاب الوحي بلا شك تدوين آيات القرآن بالخط العربي الذي كان سائدا في مكة المكرمة خلال فترة نزول الوحي، ثم في المدينة بعد الهجرة[6].

---

[1] إسماعيل، محمد بكر.(1999م). دراسات في علوم القرآن، ط3، دار المنار: القاهرة، ص134.

[2] الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل. (1405هـ). مرجع سابق، ص394، 398.

[3] إسماعيل، شعبان محمد.(د.ت). مرجع سابق، ص56.

[4] الحسن، محمد علي.(2000م). المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، قدم له محمد عجاج الخطيب، ط1، موسسة الرسالة: بيروت، ص124.

[5] شاكر، أحمد بن محمد عبد القادر.(1407هـ). مرجع سابق، ص70.

[6] ابن حميد، صالح بن عبد الله.(د.ت). مرجع سابق، ص70.

جمال الخط العربي ومشاهيره، وأثره في حياة المسلمين:

مثل الخط العربي الركيزة الكبرى للفنون الإسلامية، واحتل مكانة متميزة في حياة المسلمين لارتباطه بالدين الإسلامي من خلال تدوين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ونتج عن هذا الارتباط أن أصبح للخط العربي قيمة دينية تجلت في اهتمام الخطاطين والنساخ المسلمين بإتقانه وإظهاره في أجمل صوره وأشكاله، وكان لانتشار الإسلام في بقاع كثيرة من الأرض واحتكاكه ببيئات وثقافات مختلفة أثر كبير في تطوير أساليب الخط العربي وتعدد نماذجه، وساعد على ذلك ما امتازت به طبيعة الخط العربي وأشكال حروفه من الحيوية بفضل ما فيها من الموافقة والمرونة وما فيها من اختلاف في الوصل والفصل مما هيأ لها فرص التطور والابتكار بطرق وأساليب متنوعة[1]، وليس عبثا أن يتجه الفن الإسلامي في العمارة إلى التجريد بدل التجسيد، وذلك من خلال اعتماد الخط العربي في الزخرفة والتعبير، والأشكال الهندسية الانحنائية، المتكاتفة والمتعاطفة، نقوشا وأسوارا وأزقة، كتعاطف المصلين في الصف خلف الإمام، كل ذلك لأن التجريد هو الفضاء الأقدر على التعبير عن عقيدة التوحيد[2]، وانفرد المسلمون من بين الناس بسبق بديع في فنون الخط، حتى غدا الخط العربي آية في الجمال بين سائر الخطوط العالمية، بل أصبح فنًّا قائمًا بذاته، فهو صورة للزخرفة الجميلة، مع ملاحظة أن هذه الزخرفة ليست ضائعة الدلالة، فهي ذات دلالات فكرية وعلمية بحسب ما تدل عليه كلمات هذه الخطوط، إلى جانب دلالاتها الفنية الجمالية، وكان البغداديون أول الأمر أساتذة إتقان الخط العربي والإبداع فيه وزخرفة الكتب، وامتد بعد ذلك هذا الفن إلى فارس، واكتسبت خراسان أهمية خاصة في كتابه الخط العربي؛ حتى أنه ظهر بها خط فارسي ابتكره الخطاط "ميرعلي"[3]، وله استمداد من الهندسيات، وذلك الحسن نوعان: حسن التشكيل في الحروف، يكون بخمسة: أولها: التوفية، وهي أن يوفي كل حرف من الحروف حظه من التقوس، والانحناء، والانبطاح، والثاني: الإتمام، وهو أن يعطى كل حرف قسمته من الأقدار في الطول، والقصر، والدقة، والغلظة، والثالث: الانكباب، والاستلقاء، والرابع: الأشبع، والخامس: الإرسال، وهو أن يرسل يده بسرعة، وحسن الوضع في الكلمات، وهي ستة: الترصيف: وهو وصل حرف إلى حرف، والتأليف: وهو جمع حرف غير متصل، والتسطير: وهو إضافة كلمة إلى كلمة، والتفصيل: وهو مواقع المدات المستحسنة، ومراعاة فواصل الكلام، وحسن التدبير في قطع كلمة واحدة؛ بوقوعها في آخر السطر، وفصل الكلمة التامة، ووصلها، بأن يكتب بعضها في آخر السطر، وبعضها في أوله، ومنها: علم إملاء الخط العربي، أي: الأحوال العارضة لنقوش الخطوط العربية لا من حيث حسنها[4]، والخط العربي جزءاً لا يتجزأ من فن التنميق؛ ولسنا نجد مثالاً آخر لاجتماع الكتابة والتصوير تآخيهما على هذا النحو إلا في بلاد الصين، فقد كانت الحروف الكوفية في موطنها الأول، بلدة الكوفة نفسها، حروفاً سمجة ذات زوايا، وأركان محددة فجة، ولكن الخطاط كسا هذه العظام العجاف بالحركات وعلامات الإمالة والنقط وحروف المد ورسوم صغير متخذة من أوراق النبات؛ فلما ارتقى الخط الكوفي إلى هذه الدرجة من الجمال أصبح كثير الاستعمال في تزيين المباني نفسها، أما الكتابة الدارجة فكان الخط النسخ فيها أكثر جاذبية من الخط الكوفي؛ وكانت حروفه المستديرة وامتدادها الأفقي المتعرج، وهذان في حد ذاتهما وسيلة للزينة في غنى عن الإضافات الأخرى، وليس في خطوط العالم سواء كانت مكتوبة باليد أو مطبوعة ما يضارع هذا الخط في جماله؛ ولم يحل القرن العشرين حتى كانت الغلبة على الخط الكوفي في تزيين المباني أو الخزف، والكثرة الغالبة من الكتب الإسلامية التي وصلت إلينا من العصور الوسطى مكتوبة بخط النسخ؛ ومعظم المصاحف لأن كتابة القرآن كانت في حد ذاتها من الأعمال الصالحة التي يثاب عليها صاحبها؛ وكان تزيينها بالصور تعد انتهاكاً لحرمتها، ولكن كتابتها بالخط الجميل تعد من أشرف الفنون، وبينما كان رسامو الصور الصغيرة على العاج أو غيره صناعاً يستأجرون بأجر قليل، كان الخطاطون يبحث عنهم في جميع أنحاء البلاد ويغدق عليهم الملوك والأمراء الهدايا والأموال، وكان منهم هم أنفسهم ملوك وساسة، وكانت الرقعة المكتوبة بيد أحد هؤلاء الفانين كنزاً لا يقدر بمال[5].

---

[1] المزيني، عبد الرحمن بن سليمان.(د.ت). المصاحف المخطوطة في القرن الحادي عشر الهجري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة المنورة، ص15، وأنظر: شلبي، عبد الفتاح إسماعيل.(د.ت). رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، مكتبة وهبة: القاهرة، ص3.

[2] المغربي، فريد الأنصاري.(2003م). سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة، ط1، ألوان مغربية: القاهرة، ص50.

[3] حبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن.(1998م). الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، ط1، دار القلم: دمشق، ص171، 641.

[4] حاجي خليفة، مصطفي بن عبد الله.(1941م). مرجع سابق، ص713.

[5] وِل ديورَانت، ويليام جيمس.(1988م). قصة الحضارة، تقديم محيي الدّين صَابر، ترجمة زكي نجيب محمُود وآخرين، ج13، دار الجيل: بيروت، ص253.

واختلف الخط المشرقي في بعض الأمور عن الخط المغربي؛ إذ إن الأخير تتشابه فيه الفاء مع القاف في أن الأعجام بنقطة واحدة توضع فوق الحرف في القاف وتحت الحرف في الفاء[1]، وبلغ من جمال ورونق الخط العربي أن اعترفت الدول الأوروبية بجماله فأقامت له بعض المعارض الفنية في باريس وغيرها من العواصم الأوروبية[2].

وقد تفاوتت درجات حسن الْخط تفَاوتا شَدِيدا، وَذَلِكَ على حس تفَاوت رِعاية النِّسبة الْمَطلوبَة فِيهِ، وأَشار إِلَى ذَلِك البَعض أثنَاء البحث عَن فن تركيب الحرُوف لأن لها حسنا مَخْصُوصًا فِي حَال إفرادها كَذَلِك لَهَا حسن مَخْصُوص فِي حَال تركيبها من تناسب الشكل وَنَحْوه، ومبادئ ذَلِك أُمُور استحسانية ترجع إِلَى رِعَايَة النِّسْبَة الطبيعية فِي الأشكال وَله استمداد من الهندسة وَلذَلِك قَالَ بعض الْحُكَمَاء الْخط هندسة روحانية وَإِن ظَهرت بِآلَة جسمانية، وَالنَّاس كثيرا مَا يختلون فِي تَرْجِيح بعض الخطوط على بعض فِي الْحسن وَهُوَ غير مستغرب فَإِنَّهُ نَظِير اخْتِلَافهمْ فِي تَرْجِيح بعض النَّاس على بعض فِي ذَلِك، وَالِاسْتِحْسَان كثيرا مَا يخْتَلف باخْتِلَاف الإلف وَالْعَادَة والمزاج إِلَّا أَن الْمرجع فِي ذَلِك إِلَى أَرْبَاب الْفَنّ مِمَّن عرف بسلامة الطَّبْع ودقة النّظر وفرط البراعة فِيهِ، وَاعْلَم أَن الْخط الْعَرَبِيّ يُمكن فِيهِ من السرعة مَا لَا يُمكن فِي غَيره وَيحْتَمل من تَكْبِير الْحُرُوف وتصغيرها مَا لَا يحْتَمل غَيره وَيقبل من النَّوْع مَا لَا يقبله غَيره[3]

يوصف الخط بالجودة إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدورُه، تحسن الخط وسائر الحضارة في بلاد العرب والإسلام تقدماً وازدهارا على يد المبدعين من نوابغ الخطاطين حتى بلغ غاية الجمال والكمال على يد الوزير أبي علي بن مقلة الذي جاء على رأس القرن الثالث للهجرة، وعنه انتشر الخط المعروف في مشارق الأرض ومغاربها؛ حتى أن أبو حيان التوحيدي في رسالته (علم الكتابة) فيما رواه عن ابن الزنجي قال: "أصلح الخطوط وأجمعها لأكثر الشروط، ما عليه أصحابنا في العراق؛ فقيل له: ما تقوم في خط ابن مقلة؟ قال: ذاك نبيٌّ فيه، أُفرغّ الخط في يده كما أوحي إلي النحل في تسديس أبياتها"[4]، وأدخل ابن مقلة في الخط المذكور تحسينًا كبيرًا بعد أن كان في غاية الاختلال، وأدخله في المصاحف، وكتابة الدواوين[5]، ويُعَدّ ابن مُقْلَة أوَّل من هندس الحروف وقَدَّر مقاييسها وأبعادها بالنُّقَط وضبطها ضبطاً محكماً، واستخلص من الأقلام الموجودة ستة أقلام هى: الثُّلُث والنَّسْخ والتوقيع والرَّيحان والمُحَقَّق والرِّقاع، وأصبح يُطلْق على هذا الخط المُنْضَبط "الخط المنسوب"، ويمكن اعتباره منشىء الخط المنسوب، وكانت طريقته هى إكساب كل حرف من حروف الهجاء نسبة محدَّدة إلى حرف الألف ممَّا أدَّى إلى تنظيم قياسي دقيق للحروف الهجائية، وقرب منتصف القرن الرابع الهجري ظهر طرازٌ جديد من الكتابة رسمت بعض حروفه بخطوط مائلة مميزة، والبعض الآخر ذو رءوس مثلثة الشكل عرف باسم "شبيه الكوفي" أو "الكوفي المائل " أو "الكوفي الفارسي الشرقي"، ووصلت إلينا من هذا الخط نماذج كثيرة أهمها المصحف الذي كتبه علىّ بن شاذان الرازي سنة (361هـ/972م)، وأضفي أبو الحسن على بن هلال البغدادي المعروف بابن البَوّاب على الخط العربي العنصر الفني الذي كان يفتقد إليه الخط المنسوب الذي ابتدعه ابن مُقْلَة[6]، ويرى القزويني: "أن ابن البواب نقل طريقة ابن مقلة إلى طريقته التي عجز عنها جميع الكتاب من حسنها وحلاوتها وقوتها وصفائها، فإنه لو كتب حرفًا واحدًا مائة مرة لا يخالف شيء منها شيئًا؛ لأنها قلبت في قالب واحد"، وقد درس المستشرق "رايس" خصائص خط ابن البواب، مستعينًا بالمصحف الشريف الذي خطّه ابن البواب، وترك ابن البواب منظومة في فن الخط وآثارًا فنية خطها للمصحف الشريف وبعض الكتب، أما المنظومة فهي: رائية ابن البواب في الخط والقلم، وهي في أدوات الكتابة، ولقي ابن البواب الثناء والتقدير من المؤرخين، فأجمعوا على أنه كان إمامًا في الخط لم ينافسه أحد، ولقبوه بألقاب بديعة، فيقول عنه الذهبي: إنه ملك الكتابة، ولقبه المؤرخ ابن الفوطي بأنه "قلم الله في أرضه"، ومدحه ابن الرومي[7]، ومن كتاب (المصاحف) خشنام البصري، والمهدي الكوفي، وكانا في أيام الرشيد، ومنهم: أبو حدي كاتب المصاحف في أيام المعتصم؛ من كبار الكوفيين وحذاقهم، وأول من كتب في أيام بني

---

[1] الطويل، السيد رزق.(د.ت). مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، ط2، المكتبة الأزهرية للتراث: القاهرة، ص195.

[2] إمام، إبراهيم.(د.ت). دراسات في الفن الصحفي، مكتبة الأنجلو: القاهرة، ص235.

[3] السمعوني، طاهر بن صالح بن أحمد بن موهب.(1995م). مرجع سابق، ص ص 796، 797.

[4] السَّراج، محمد علي.(1983م). اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، مراجعة خير الدين شمسي باشا، ط1، دار الفكر: دمشق، ص299.

[5] رضا، محمد رشيد بن علي.(د.ت). مجلة المنار، ج18، د.ن: القاهرة، ص461.

[6] المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.(د.ت). مرجع سابق، ص263، 507.

[7] السقاف، علوي بن عبد القادر.(1433هـ). الموسوعة التاريخية، ج3، د.ن: د.م، ص321.

dorar.net، وأنظر: هارون، عبد السلام محمد.(1985م). كناشه النوادر، ط1، مكتبه الخانجي: القاهرة، ص95.

أمية: قطبة وكان أكتب الناس، ثم كان بعده: الضحاك بن عجلان الكاتب في أول خلافة بني العباس، فزاد على قطبة، ثم كان: إسحاق بن حماد في خلافة المنصور والمهدي، وله عدة تلامذة كتبوا الخطوط الأصلية الموزونة، وظهر رجل يعرف بالأحول المحرر، فتكلم على رسومه، وقوانينه، وجعله أنواعاً، ثم كان إسحاق بن إبراهيم التميمي، المكنى: الحسين، معلم المقتدر وأولاده، أكتب زمانه، وله رسالة في الخط، سماها: (تحفة الوامق)، ثم ظهر أبو الدر: ياقوت بن عبد الله الموصلي، الملكي، المتوفى سنة (618) ثمان عشرة وستمائة، ثم ظهر أبو الدر: ياقوت بن عبد الله الرومي، الحموي، المتوفى سنة (667)، سبع وستين وستمائة (626)، ثم ظهر أبو الدر (أبو المجد) : ياقوت بن عبد الله الرومي، المستعصي، المتوفى سنة (698) ثمان وتسعين وستمائة، وهو الذي سار ذكره في الآفاق، واعترفوا بالعجز عن مداناة رتبته، ومن الماهرين في هذه الأنواع عبد الله أرغون، وعبد الله الصيرفي، ويحيى الصوفي، والشيخ: أحمد السهروردي، ومباركشاه السيوفي، ومبارك شاه القطب، وأسد الله الكرماني، ومن المشهورين في البلاد الرومية: حمد الله ابن الشيخ الأماسي، وابنه دده جلبي، والجلال، والجمال، وأحمد القراحصاري، وتلميذه حسن، وعبد الله الأماسي، وعبد الله القريمي، وسلطان علي المشهدي، ومير علي، ومير عماد، وغيرهم من الناسخين [1]، وجاء جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمي المتوفى سنة (698هـ/1299م) المعروف بـ "قِبْلَه الخَطّاطين" ليلعب دوراً مهما في تطوير الخط العربي وتجويده مُضْفياً عليه كمالاً وحُسْناً جعلت منه رائداً لمن جاء بعده من الخَطاطين، واتَّسَم خطه بالرقة والرشاقة ويُنْسَب إليه شَذْب القلم، وكتب ياقوت الكثير من المصاحف والكتب مازال بعضها محفوظاً في دور الكتب العالمية، وكانت بغدادُ مركزاً لكل هذه التطورات، وأصبح فَنُّ الخط بعد ياقوت المستعصمي ساحة التنافس البارزة في مجال الفنون، وصار شيخ التجويد في مصر الذي يُضرَب بجودة خطه المثل أبا عبد الله يوسف الذَّرْعي الدمشقي المعروف بابن الوَحيد الكاتب المتوفى سنة (711هـ/1311م)، والذي كتب للسلطان بيبرس الجَاشنكير مصحفاً من سبعة أجزاء بالخط المُحَقَّقَ محفوظ الآن بمكتبة المتحف البريطاني، وكذلك عبد الرحمن بن يوسف بن الصَّائِغ المتوفى سنة (845هـ/1442م)، وعرفت تركيا العثمانية منذ مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي مدرسة جديدة في فن الخط تأثَّرت في بادئ الأمر بمدرسة ياقوت المستعصمي، ولكن سرعان ما أصبحت لها سماتها الخاصة التي مهدت السبيل للدخول إلى العصر الذهبي لفن الخط العربي الإسلامي بفضل خطاطين من أمثال الشيخ حَمد الله بن مصطفي المعروف بابن الشيخ الأمايسي (833- 922هـ/1429-1520م) الرائد الأكبر للخطاطين الأتراك الذي أدخل على خَطَّي النَّسْخ والثُّلُث إصلاحات أساسية، فأضفى جمالاً باهرا على هذين الخطين، فبينما نجد عند ياقوت أن الحروف التي تُخَطّ من أعلى إلى أسفل (أ. ك. ل.) لم تكن متوازية، فإنها أصبحت عند الشيخ حمد الله متوازية دائما، وشهد الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي مرحلة جديدة في تطوير الخط العربي مع الحافظ عُثمان بحيث استقرت في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي [2]، ومن أعظم مشاهير الخطاطين في القرن التاسع الهجري "سلطان علي المشهدي" و"جعفر البيسنقري التبريزي" و"عبد الكريم الخوارزمي" و"إبراهيم سلطان بن شاه رخ بن تيمور جورجان" وكان هذا من أبرع اللاعبين بالحروف، واشتهرت مقدرته على الكتابة بستة أساليب خطية مختلفة، ثم ظهرت مدرسة الخط في "إسطنبول" في العهد العثماني وليدة مدرسة "تبريز" الإيرانية، وتفوق الخطاطون الأتراك في كتابة الخط العربي، ولا سيما في خط الثلث، وآثارهم الكتابية ماثلة في الجوامع الكبيرة في المدن التركية، وشهدت روائع الخطوط في اللوحات أو على جدران جامع السلطان أحمد في إسطنبول، والجامع الكبير في بورصة، واحتل مركز الأستاذية في كتابة الخط العربي الخطاط التركي "رسا" وشهدت بعض لوحاته مهورة بتوقيعه [3].

العوامل المؤثرة في الخط واللغة:

تأثرت اللغات على مدى التاريخ وما زالت تتأثر بعوامل عدة غير العامل الحضاري، فالعامل الديني أبقى اللغة العربية مقروءة أكثر من عشرين قرنًا، فكان اليهود يتعلمون قدرًا من العبرية لأنها لغة العهد القديم، وهو كتاب اليهود المقدس، والتقاء العرب حول الفصحى وعدم نجاح الدعوى إلى الكتابة بالعامية يرجع إلى عوامل منها الالتقاء حول لغة القرآن الكريم، وقد مهد العامل الديني لدخول عدد كبير من الألفاظ العربية المتعلقة بالدين والحضارة إلى لغات العالم الإسلامي في إفريقيا وآسيا وجنوب أوربا، ففي اللغات السواحيلية والتركية والفلبينية وأيضا في اللغة الصربوكرواسية نجد المسلمين يستخدمون الألفاظ الخاصة بالعبادات وبالسلوك اليومي مستعارة من اللغة العربية، وارتباط الخط العربي

---

[1] حاجي خليفة، مصطفي بن عبد الله.(1941م). مرجع سابق، ص711.

[2] المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.(د.ت). مرجع سابق، ص263، 507.

[3] حبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن.(1998م). مرجع سابق، ص642.

بالدين الإسلامي جعل المتحدثين بالحبشية في هرر، وكلهم من المسلمين يكتبون الحبشية بالخط العربي، وقد دخلت في الهررية ألفاظ عربية كثيرة وكأنهم أرادوا بذلك أن يثبتوا ارتباطهم بالعالم الإسلامي وتميزهم عن الأحباش المسيحيين حولهم، والعامل السياسي ذو أثر كبير في حياة اللغات[1].

أثر الأمم الأخرى في الخط العربي:

وجدت ظاهرة دخول الكلمات الأجنبية في العصر الأموي إلى الشعر العربي، ولم تنتهي آفات ضعف السليقة اللغوية، ولم تنتهي لثغات اللكنات الأجنبية عن الألسنة؛ بل استمر ذلك كله بصورة أوسع من الصورة الأموية، لسبب بسيط، وهو أن أغلب الشعراء كانوا أجانب؛ فكان فيهم النبطي مثل أبي العتاهية والسِّندي مثل هارون مولى الأزد وأبي عطاء، أما الفرس فلا نستطيع إحصاءهم، وكان منهم بشار بن برد وأبان بن عبد الحميد وسلم الخاسر ومروان بن أبي حفصة وأبو يعقوب الخريمي ومسلم بن الوليد وغيرهم كثير، ولعل شيئًا لم يسترع الجاحظ في عصره كما استرعته اللكنات وما كانت تسبّبه من لثغات، وقد أفاض في وصف هذه اللثغات أوائلَ كتابه البيان والتبيين؛ فقال إنه كان هناك من يبدل الراء غينًا واللام ياء والزاي والثاء والشين سينًا والعين همزة والقاف كافًا والذل دالًا والجيم زايًا أو ذالًا، وذلك كله مصدره أن يدخل الرجل بعض حروف العجم في حروف العرب، وإن واصل بن عطاء كان لا يستطيع أن ينطق الراء؛ فأخلى كلامه منه، وزعم أن من أصوات اللغات الأجنبية ما لا يستطيع الخط العربي تصويره كلهجة خوزستان، وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة العربية المعروفة ويكون لفظه متخيَّرًا فاخرًا ومعناه شريف كريمًا ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطيّ، وكذلك إذ تكلم الخراساني على هذه الصفة فإنك تعلم مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه أنه خراساني[2].

وفي اللغات السواحيلية والتركية والفلبينية وأيضا في اللغة الصربوكرواسية استخدم المسلمين الألفاظ الخاصة بالعبادات وبالسلوك اليومي مستعارة من اللغة العربية[3]، وبدأ استخدام الكتابة العربية في لغات غرب أفريقيا ولا سيما في الساحل، مع دخول الإسلام في هذه المناطق، ويميل الأسلوب والاستخدام في هذه اللغات أن يتبع الأسلوب والاستخدام في المغرب العربي إلى حدٍ معين (مثل مواقع النقاط في حرفي الفاء والقاف)، ودخلت حركاتٌ تشكيليةٌ جديدةٌ إلى حيز الاستخدام لتسهيل كتابة الأصوات غير الممثلة في اللغة العربية، ويطبق لفظ "أعجمي" (الذي يعني أجنبي) على أنماط كتابة اللغات الأفريقية المبنية على الأبجدية العربية، واليوم نجد أن" إيران وأفغانستان وباكستان، والهند، والصين هي الدول الرئيسية غير العربية التي تستخدم الأبجدية العربية لكتابة لغةٍ أو أكثر من اللغات الوطنية الرسمية، بما في ذلك اللغة الفارسية واللغة الضارية واللغة البنجابية والباشتو والأردو والكشميرية واللغة السندية واللغة الأغورية، وتستخدم الأبجدية العربية حاليا في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى: الكردية في شمال العراق وشمال غرب إيران وشمال شرق سوريا، وفي تركيا، تستخدم الأبجدية اللاتينية في كتابة اللغة الكردية؛ اللغة الرسمية الفارسية وبعض اللغات الإقليمية بما فيها اللغة الأردية والكردية والبلوشية في إيران؛ اللغة الرسمية الضارية، والتي تختلف إلى حدٍ ما من اللغة الفارسية ولغة الباشتو وكل اللغات الإقليمية بما في ذلك جميع اللغات الأوزبكية في أفغانستان؛ تختلف اللغة الطاجيكية أيضا بدرجة طفيفة عن اللغة الفارسية، وتُستمدُ الأبجدية الطاجيكية في طاجيكستان من الأبجدية السيريلية، والكتابة العربية هي الكتابة الرسمية في المنطقة الجنوبية الغربية من منطقة شينجيانغ في شمال غرب الصين، مثل الأغورية في بقية منطقة شينجيانغ؛ وبدأت اللغة الكرشونية في القرن السابع الميلادي، عندما كانت اللغة العربية هى اللغة المحكية السائدة في منطقة الهلال الخصيب، وهناك أدلة على أن الكتابة العربية في كرشوني أثرت في أسلوب الكتابة العربية الحديثة، وبعد هذه الفترة الأولية، ظلت الكتابة الكرشونية إلى يومنا هذا في أوساط بعض الجاليات السريانية المسيحية في المناطق الناطقة باللغة العربية في بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين، وتغيرت الأغورية إلى استخدام الحرف اللاتيني في عام (1969) وعادت مرةً أخرى إلى لغة كتابةٍ عربيةٍ مبسطةٍ في عام (1983)؛ والكازاخستانية في باكستان وإيران والصين وأفغانستان؛ والقيرغيزية التي يتحدث بها (150) ألفا من المتكلمين في منطقة شينجيانغ في شمال غرب الصين، ويكتب بعض المواطنين"الهوي" اللغة الصينية باستخدام الأبجدية الزيورجينجية المشتقة من الأبجدية العربية، واللغة الرسمية الأوردية وبعض اللغات الإقليمية كالبنجابية المعروف هناك الخط الشهموكي واللغة السندية واللغة الكشميرية واللغة البلوشية في باكستان؛ الأردية والكشميرية في

---

[1] حجازى، محمود فهمى.(د.ت). علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، ص29.

[2] ضيف، أحمد شوقي عبد السلام.(د.ت). الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط12، دار المعارف: مصر، ص121.

[3] حجازي، محمود فهمى.(د.ت). مرجع سابق، ص29.

الهند، والأردية هي واحدة من اللغات الرسمية في عدة ولاياتٍ في جامو وكشمير ودلهي وولاية اوتار براديش وولاية بيهار ووأندرا براديش، وتستخدم اللغة الأروية، وهي خليطٌ من العربية والتاميل الكتابةَ العربيةَ مع إضافة (13) حرفا، وهي تستخدم أساسا في سري لانكا وجنوب الدولة الهندية لأغراض دينية، وتستخدم اللغة الماليالامية الكتابة العربية فيما يعرف بالماليالامية العربية، وتستخدم هذه الكتابةُ أساسا في المدارس الدينية في جنوب الهند في ولاية كيرالا وواكشادويب لتعليم المايانامارية، الكتابة الثعنة التي تستخدم في كتابة اللغة الديفيهية في جزر المالديف، وبعض حروف هذه اللغة الساكنة مقتبسةٌ من الأرقام العربية، وكتابة لغة الملايو بالأبجدية العربية (المعروفة بالجاوية) هي كتابةٌ رسميةٌ في بروناي، وتستخدم لأغراضٍ دينيةٍ في ماليزيا وإندونيسيا وجنوب تايلاند وسنغافورة والمناطق التي يغلب على سكانها المسلمون من الفلبين، كما تستخدم الجاوية في الكتابة والقراءة في برنامج التربية الإسلامية والذي يشبه الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية وحتى الجامعية، بالإضافة إلى ذلك، تستخدم هذه الأبجدية في بعض البرامج التلفزيونية والأخبار والبرامج الاجتماعية والبرنامج والدينية.. الخ، واختلطت الثقافة البروناية بالعربية وظلت اللغة هناك مشتقةً من الكلمات العربية، وتستخدم اللغة القمرية في جزر القمر الأبجدية العربية جنبا إلى جنب مع الأبجدية اللاتينية؛ لغة الهوسا، وخصوصا للأغراض الدينية، وكانت اللغة الأمازيغية واللغات البربرية الأخرى تكتب باللغة العربية في المغرب العربي، وكان المسلمون من غير العرب يكتبون بالأبجدية العربية أي لغةٍ يتحدثون بها، وأدى هذا إلى جعل الكتابة العربية الكتابة الأكثر استعمالا خلال العصور الوسطى، وفي القرن العشرين تم استبدال الأبجدية العربية بالكتابة اللاتينية في البلقان، وجزءٍ من جنوب الصحراء الأفريقية وجنوب شرق آسيا، بينما قام الاتحاد السوفياتي بعد فترة وجيزة من الكتابة باللغة اللاتينية، باستخدام الأبجدية السيريلية، وتحولت تركيا إلى استخدام الأبجدية اللاتينية في عام (1928م)، كجزءٍ من ثورةٍ تغريبيةٍ داخلية، وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي في عام (1991م)، حاولت العديد من اللغات التركية في دول الاتحاد السوفياتي سابقا أن تقلد تركيا وتتحول إلى أبجديةٍ ذات نمطٍ لاتيني، ومع ذلك، فقد حدث تجديد لاستخدام الأبجدية العربية على نطاقٍ محدودٍ في طاجيكستان، والتي كان هناك تشابهٌ في لغتها مع اللغة الفارسية يسمح بالاستخدام المباشر للكتب الإيرانية، ودون المهاجرون من جنوب شرق آسيا اللغة الأفريكانسية بحروف الأبجدية العربية في البداية، والبربرية في شمال أفريقيا، وبخاصة تشلحيت في المغرب، ما زال يجري النظر في استخدام الأبجدية العربية، جنبا إلى جنب مع التيفيناغ واللاتينية في كتابة اللغة الأمازيغية[1].

وأثبتت البحوث الأثرية أن الملايوين القدماء كانت لديهم حروف خاصة تكتب بها لغتهم، ومنها ما يسمي بحروف الكاوي (KAWI) وهي الحروف التي ظهرت في أرخبيل الملايو بقدوم الثقافة الهندية في فترة ما بين عام أربعمائة ميلادية وسبعمائة وخمسين ميلادية كما تعرفوا على حروف جاوة القديمة وهي أصلا من حروف ونجي (WINGI) التي نشأت لدى شعب بالاوا المقيمين في بلدة كورومنديل جنوب الهند، وهناك نوع آخر من الحروف المستخدمة لكتابة اللغة الملايوية القديمة وهو ما يسمي بحروف رينتشونج (RENCUNG) التي ساد استعمالها في منطقة جنوب جزيرة سومطرة وبلدة مينج كاباو (MINANG KABAU) وما زالت هذه الحروف تستخدم في هذه المنطقة حتى القرن الثامن عشر الميلادي واستبدلت بعد ذلك بالحروف اللاتينية نتيجة زحف الاستعمار الهولندي في ذلك القرن[2]، وبدخول الحروف العربية إلي الأرخبيل قضي على الحروف الأخرى المستخدمة من قبل، وذلك لأن الخط العربي كان الأنسب في التعبير والتسجيل لكتابة اللغة الملايوية لما فيها من السهولة الفائقة في تهجية كلمات هذه اللغة بالمقارنة إلي استعمال الحروف الهندية القديمة وكانت الكتابة الجاوية تشبه الكتابة العربية تماما فقد استعارت جميع الحروف العربية غير أنها زادت زيادات أو أدخلت تعديلات للدلالة على أصوات لا نظير لها في العربية، وإن أول ما كتبت به اللغة الملايوية من المؤلفات كانت بالحروف العربية عند انتشار الإسلام في القرن الثالث عشر الميلادي - فيما يبدو ولا تزال تكتب بها- وأول وثيقة وصلتنا كتبت بهذه الحروف نقوش أثرية عثر عليها في العقد الرابع من هذا القرن في الساحل الشرقي لشبه جزيرة الملايو تعرف بحجر ترنجانو وهو مودع الآن في المتحف الوطني بالعاصمة وهو محفور من أربع جهات كتبت عليه قوانين رسمية، وبعد أن عرف الملايويون استخدام الخط العربي لكتابة لغتهم بدأوا في تدوين الحكايات والتواريخ التي تناقلوها شفهيا منذ أمد بعيد على شكل كتب ورسائل وغير ذلك، وقد طبعت في مكة المكرمة مجموعة كبيرة من الكتب الدينية الملايوية بهذه الحروف وأرسلت إلي كل أنحاء البلاد الملايوية، ولذلك ظهرت الكتب الكثيرة التي ألفت وترجمت إلي اللغة الملايوية في التفسير والحديث والتوحيد والفقه

[1] https://ar.wikipedia.org/wiki/أبجدية-عربية

[2] See.A. Samad Ahmad-Sejarah Kesusasteraan Melayu. Vol. 1. DBP. 1965. p. 27

والتصوف والآداب وغيرها وكانت الكتابة كلها بالحروف العربية، ثم اتسع استخدام هذه الحروف في جميع المجالات وعلى كل المستويات وبها ازدهرت حركات التأليف والترجمة والمراسلة، وكذا اتسع نطاق استعمال الكتابة بقيام السلطات الإسلامية في تنفيذ كتاباتها ومراسلاتها بالحروف العربية وتشجيع السلاطين المسلمين شعوبهم على القراءة وعلماءهم على مضاعفة تأليف الكتب باللغة الملايوية لتوجيه المسلمين وإرشادهم أو ترجمة ما ينفعهم من الكتب الإسلامية وكانت هذه الأعمال كلها مكتوبة بالحروف العربية[1].

وتشير الإحصاءات إلى أن هناك أكثر من مائة لغة من لغات المسلمين، كانت تكتب، وما يزال بعضها، بالحرف العربي، منها أربعون (40) لغة أفريقية، وأربع وثلاثون (34) لغة من لغات آسيا الوسطى وروسيا وأوربا الشرقية، والبقية في جنوب آسيا والصين وغيرها من بقاع المعمورة، اتخذ الحرف العربي أسماء مختلفة، فهو (جاوي) في جنوب شرقي آسيا، وهو (عجمي) في أفريقيا الغربية، وهو (عثماني) في تركيا وآسيا الوسطى إلى حدود الصين، واختارت الإيسيسكو اسم (الحرف القرآني) الذي يرمز لتنوع الأمة الإسلامية، في إطار جامع من الوحدة،لم تخرج أبجديات الهجاء الخاصة بكل لغة من لغات المسلمين المكتوبة بالحرف القرآني، عن الأبجدية العربية من حيث الشكل الهندسي، ولكنهم عدّلوا بعض أحرفها لتدل على الأصوات الخاصة التي لا توجد في العربية، بالنقط مثنى وثلاثاً، أو بعلامات إضافية وحروف صغيرة فوق الحرف أو تحته، وباستقراء التعديلات ورصد أبجديات الهجاء، نجد أن الأبجدية الشاملة للغات الشعوب المسلمة تتجاوز المائة حرف، ظلت لغات المسلمين تكتب بهذا الحرف القرآني حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، حينما عمد الاحتلال إلى إحلال الحرف اللاتيني مكانه، فانحسر بالتدريج وانحصر استعماله في مجالات محدودة في التعليم الديني ومحو الأمية والمراسلات والمعاملات اليومية، على أن هذا لا ينفي صمود عدد من اللغات، نحو الفارسية والأردية والباشتونية والسندية التي مازالت تكتب بالحرف القرآني، كما أن هذا الصمود تمثل أيضاً في تشبّث كثير من الشعوب المسلمة في أفريقيا وآسيا على الصعيدين الرسمي والأهلي، بهذا الحرف والدعوة إلى إحيائه، وتبلورت هذه الدعوات والتوجهات، في مشروع "استعمال الحرف العربي لمكافحة الأمية" الذي تبنته اليونسكو والبنك الإسلامي وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في سنة (1984م)، ثم انضمت إليه الإيسيسكو في (1985م)، وفي مطلع (1991م) وعقب سلسلة من اجتماعات الخبراء والندوات العلمية المنعقدة في شرق القارة الأفريقية وغربها تم اعتماد أبجدية الإيسيسكو العربية الأفريقية التي تم التقيد فيها بعدد من المبادئ والموجّهات تمثل في: تجنب اعتماد حرف عربي لكتابة صوت غير الذي يرمز له في العربية، واعتماد حرف واحد للتعبير عن صوت واحد في اللغات المختلفة، وتجنّب الأعجام (النقط) في التمييز في الحروف ما أمكن، لكونه عنصر تمييز ضعيف يؤدي إلى صعوبات تقنية في الطباعة، وتم وضع اللمسات الأخيرة للأبجدية العربية الأفريقية التي تشتمل على ثلاثة وأربعين (43) حرفاً صامتا، وثمانية (8) حروف صائتة، وعدد من الأصوات المزدوجة، واتسعت الأبجدية العربية الأفريقية التي كانت محصورة في البدء في نحو عشر لغات أفريقية، وفي ضوء الدورات التدريبية والمجهودات العلمية، لعدد متنام من اللغات الأفريقية تجاوز حتى الآن الثلاثين (30) لغة، وبدءاً من (2006م) شهد مشروع الحرف القرآني تطوراً ملموساً تمثل في : حوسبة أبجدية الإيسيسكو العربية الأفريقية، بالتعاون مع جامعة أفريقيا العالمية، وتمّ في هذا السياق، استحداث ثلاثة (3) خطوط، على قاعدة خط النسخ[2].

ومن ثم فبفضل الكتابة العربية حمل الإسلام خصائص العرب إلى كل مكان أمسى عقيدة عامة فيه: فهذا إرنست كونل يؤكد "أن الإسلام منح العرب اللغة والخط، وانتشر الخط العربي في العالم الإسلامي فأصبح رابطة لجميع الشعوب الإسلامية رغم الحدود الحاضرة"، وندرك قيمة الكتابة العربية حين نعلم مثلًا أن الحرف العربي قد امتد إلى أنحاء لا يحكمها العرب في الجزيرة الأيبيرية، حتى استعمل المستعربون الخط العربي لكتابة اللاتينية نفسها، وإذا بألفونس يسك النقود بالعربية، وإذا ببطرس الأول المتوفي عام (1104م) من ملوك الأراغون لا يحسن إلا العربية كتابة وخطًّا، وبعد سقوط غرناطة كان للموريسكون "المسلمين الذين لم يهجروا البلاد" لهجة رومانسية "أي محرفة عن اللاتينية" لكنهم ظلوا يستخدمون العربية في أنحاء لا يحكمها العرب[3]، ولا يغيبُ عن أذهاننا محافظة المسلمين من غير العرب على الخطّ العربي في كتابة لغاتهم وتمسُّكهم به، ممّا يُعَدُّ خطّاً من خطوط الدفاع عن العربيّة ويعدّ دافعاً لتمسُّك العرب بخطّهم ورسمهم[4].

---

[1] المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.(د.ت). مرجع سابق، ص263.

[2] http://www.isesco.org.ma/index.php?option=com_k2&view=item&id=12026&Itemid=82&lang=ar

[3] الصالح، صبحي إبراهيم.(1960م). مرجع سابق، ص357، 400.

[4] العايد، سليمان بن إبراهيم بن محمد.(د.ت). عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: مدينة المنورة، ص69.

والتشابه اللغوي بين العرب والأمازيغ ليس فقط في اللغة كمفردات وتسميات وحسب بل أنه في الخط أيضا فالخط الأمازيغي "التيفيناغ" هو جزء من الخط العربي المسن القديم، وتطور "التيفيناغ" كان لابد أن يتم بذات الطريقة التي تطور بها المسند، وصولاً إلى الخط العربي الحالي "الجزم"، أي أن أجدادنا الذين كتبوا الأمازيغية بالحرف العربي استفادوا بذكاء من جهود قرون طويلة، بل إن مؤرخين فرنسيين مثل لوبون وجوليان نصوا على أن التيفيناغ هو شكل من أشكال الخط العربي القديم[1].

ومن جملة ما يستدل به على تأثير العرب الجنوبيين في الحبش، هو الأبجدية الحبشية المشتقة من الخط العربي الجنوبي، وقرب لغة الكتابة والتدوين عندهم من اللهجات العربية الجنوبية، وبعض الخصائص اللغوية والنحوية التي تشير إلى أنها قد أخذت من تلك اللهجات، ثم عثور العلماء على أسماء آلهة عربية جنوبية ومعروفة في كتابات عثر عليها في الحبشة والصومال، ووجودها في هذه الأرضين هو دليل على تأثر الإفريقيين بالثقافة العربية الجنوبية، أو على وجود جاليات عربية جنوبية في تلك الجهات، وكما تدخل العرب في شئون السواحل الإفريقية المقابلة لهم، فقد تدخل الإفريقيون في شئون السواحل العربية المقابلة لهم، وحكموا مواضع من ساحل العربية الغربية ومن السواحل الجنوبية وتوغلوا منها إلى مسافات بعيدة من الداخل حتى بلغوا حدود نجران[2].

أثر الخط العربي في السواحيلية الزنجبارية:

من الضروري وجوب دراسة اللهجات "الشحرية" و"المهرية" و"السواحيلية" و"السقطرية"، ولهجات السواحل الأفريقية المقابلة لجزيرة العرب للوقوف على تطور اللغات العربية الجنوبية، وعلى حل رموزها التي لا تزال مغلقة غير معروفة عند علماء هذا اليوم، لما لهذه اللهجات من صلات بالعربيات المذكورة، ومن الضروري دراسة اللهجات العربية الحالية في كل مكان من أمكنة جزيرة العرب، ولا سيما في المواضع التي استخرج العلماء من باطنها نصوصًا مدونة بلهجات عربية قديمة، مثل أعالي الحجاز لنتمكن بهذه الدراسة من حل معضلات تلك الكتابات ومن تكوين رأي علمي واضح عن تطوّر تلك اللهجات فيما قبل الإسلام، ومن الضروري في هذا اليوم وجوب تأليف معجم لغوي، يضم اللهجات العربية القديمة، أي: اللهجات الجاهلية التي وردت في النصوص الجاهلية، للوقوف عليها، ولا سيما على اللفظ الغريب منها، ومقارنتها بالألفاظ التي ترد في اللهجات[3]، وقد وصل إلينا كثير من المعلومات من الوثائق التاريخية المهمة، وبفضل ما كتبه الرحالة والجغرافيون العرب كالمسعودي، و«الإدريسي»، و«ابن بطوطة» الذي زار مدينة «كلوة» و«ممبسة»، وازدادت الهجرات العربية في عهد هذا البيت العربي الحاكم في «كلوة»، مما جعل الطابع العربي يتغلب على الطابع الفارسي في مظاهر الحياة المختلفة، فاللغة الغالبة هى اللغة العربية التي كانت تُكتَب بها سجلات «كلوة» بجانب اللغة السواحيلية، وبدأت اللغة السواحيلية في الظهور، واتخذت لها الأحرف العربية[4].

وينبغي الإشارة أن العربية في المنطقة الساحلية لشرق أفريقيا ليست وحدها لغة الثقافة، فلغة الهاوسا متداولة غير أن المعرفة بها لا تزيد على المعرفة بالإنجليزية هنا، ويخلق الصراع بين النزوع إلى التدين والرغبة في ممارسة الحياة الحديثة- قيام مشكلات كثيرة تؤثر بالضرورة على تعليم اللغة العربية في تلك المنطقة، أما في شرق إفريقيا فتعتبر زنجبار أكبر نقطة تركيز إسلامية تتوسل بالثقافة العربية، وهم مرتبطون في قسم منهم بالجنوب العربي أثنولوجيا وثقافيا، أما في أوغندا فالمسلمون من أصول هندية ويمنية وعدد كبير منهم من أصول إفريقية، وهناك تعليم ديني يقوم به رجال الدين، والمشكلة التي تواجه اللغة العربية هناك أنها مرتبطة بالماضي وتعلمها كأداة لفهم الدين، فمعاهد العلم التي تتيح تعلم العربية هي معاهد إسلامية[5]، وقد كان العرب على اتصال بأهل زنجبار منذ عصور سحيقة، ولذلك عنوا بدراسة لغتهم "المسماة السواحيلية Swahili" ودونوها بحروف عربية[6].

ولاحظ الباحثون المهتمون بآداب الشعوب الإسلامية في إفريقيا، أن النشاط الفكري وسط هذه الشعوب يبدأ دائمًا باللغة العربية نفسها، ثم ينشأ على أثره الأدب المعبر عنه باللغات المحلية، كما وجدت عبارات باللغة العربية مكتوبة على شواهد بعض القبور ترجع إلى القرن الثامن الميلادي، ولا يستبعد وجود تراث أدبي مكتوب بالخط العربي قبل هذا التاريخ، لم يتم اكتشافه بعد، على أية حال لا شك في أن كل

---

[1] الزواوي، محمد السعيد أبو يعلى.(2005م). تاريخ الزواوة، ط1، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة: الجزائر، ص44.

[2] علي، جواد.(2001م). مرجع سابق، ص142.

[3] المرجع السابق، ص227.

[4] موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي.(د.ت). الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، الموسوعة، ج11، د.ن: د.م، ص103، 154.

[5] حجازى، محمود فهمى.(د.ت). مرجع سابق، ص297.

[6] وافي، علي عبد الواحد.(د.ت). علم اللغة، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر: القاهرة، ص215.

هذه الآثار ترجع للعرب أنفسهم، وليس هناك ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن للسكان المحليين يدًا فيها، لكن الأسئلة الأهم في هذا السياق: متى ظهر التراث الأدبي السواحيلي المكتوب بالحرف العربي؟ وكيف نشأ؟ ومن هم رواده؟ أهم العرب السواحيليون أم السكان المحليون، إنّ بداية تأليف اللغة السواحيلية كان بالنظم، والنقد بالنصوص التي تم العثور عليها في هذا الفن، أربع قصائد مطولة ترجع إلى القرن الثامن عشر وكلها قصائد تعليمية، ولعل أهمها وأقدمها كانت قصيدة "الهمزية" للشيخ عيدروس بن عثمان بن علي، وهي عبارة عن ترجمة لقصيدة باللغة العربية لشرف الدين البوصيري، كما وجدت بعض المقتطفات من قصائد المولد مترجمة من القصائد العربية[1].

وتعتبر اللغة السواحيلية إحدى اللغات المليونية، واللفظ السواحيلي مشتق من اللفظ العربي، السواحل جمع ساحل، ومعناها هنا سكان السواحل، ويقصد هنا السواحل الشرقية لإفريقيا، ويستخدم اللفظ عامة لكل سكان هذه السواحل، وهم خليط من الإفريقيين والعرب والإيرانيين، وتعتبر اللغة العربية هي اللغة الإفريقية الأكبر حيث تغطي كل إفريقيا الشمالية وشمال شرق، ومساحة ضخمة من الصحراء الكبرى حتى إقليم السافانا، وتصل إلى منحنى نهر النيجر وإلى نهر السنغال، ويتكلمها ما يزيد على مائة وعشرين مليون نسمة، أو نحو ثلث سكان القارة الإفريقية[2].

المطابع العربية وأثرها على الحرف العربي:

على الرغم من ورود بعض الفضل لنابليون بونابرت في إدخال المطابع إلى العالم العربي أثناء احتلاله لمصر في (1798م)؛ حيث جلب بالفعل المطابع ومطابع النصوص العربية إلى مصر لطباعة صحيفة الاحتلال الرسمية" التنبية"، ولكن بداية هذه العملية كانت قبل ذلك بعدة قرون؛ حيث اخترع جوتنبرج المطبعة في (1450م) وأعقبه جريجوريو دي غريغوري، وكان رجلا من البندقية، قام بنشر كتابٍ عربيٍ للصلاة المسيحية في عام (1514م) بعنوان كتاب صلاة السواعي وكان كتابا مخصصا للطوائف المسيحية الشرقية، وقيل أن نص الكتاب كان خاما وغير قابل للقراءة تقريبا، ونجح المصمم الشهير روبرت جرانجون وهو يعمل للكاردينال فرديناندو دي ميديسي أن يصمم العديد من الحروف والخطوط العربية الأنيقة، وقامت مطابع ميديسي بنشر عددٍ من الصلوات المسيحية والعلمية العربية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وكانت أول الكتب العربية المطبوعة بالخط المتحرك في الشرق الأوسط على يد الرهبان الموارنة في دير مارقوزاي في جبل لبنان، وقاموا بترجمة اللغة العربية ترجمةً صوتيةً باستخدام النصوص السريانية، ثم قام صائغٌ (مثل جوتنبرج) بتصميم وتطوير أول مطبعةٍ متحركةٍ للخطٍ العربيٍ في الشرق الأوسط، وبنى الراهب الأثوذكسي اليوناني عبد الله الزاخر مطبعةً عربيةً في دير القديس يوحنا في بلدة ذور الشوايرٍ في جبل لبنان، وكانت أول مطبعةٍ لبنانية تستخدم الخط العربي الحقيقي، وقام شخصيا بقطع القوالب وصنع الحروف الأبجدية بنفسه، وأنشأ بذلك أول خط طباعةٍ عربيٍ حقيقيٍ في الشرق الأوسط، وكان أول كتابٍ من المطبعة في (1734)؛ وظلت الطباعةُ هناك حتى عام (1899)، واعتمدت اللغات المكتوبة بالأبجدية العربية في طائفةٍ واسعةٍ من اللغات إلى جانب اللغة العربية، بما في ذلك الفارسية، الكردية، الملايو، الأوردو، والتي ليست من اللغات السامية، وربما أدخل هذا الاستخدام الواسع حروفا جديدة غير موجودةٍ في الأبجدية الأصلية، لخدمة صوتيات هذه اللغات التي ليست من الصوتيات العربية، ولا يوجد في اللغة العربية الصوت الشفهي غير الحلقي[p] ، ولذلك تضيف العديد من اللغات الحروف التي تمثل هذا الصوت، وهذا الحرف يختلفُ من لغةٍ إلى أخرى[3].

الحواسيب والأبجدية العربية وعناية المنظمات بتلك القضية:

يمكن الترميز للغة العربية بعدة مجموعاتٍ للأحرف، بما في ذلك (ايزو - 8859 - 6) وترميز اليونيكود، ويقوم النطاق العربي الرئيسي على ترميز الحروف والحركات القياسية، ولكنه لا يرمز الأشكال السياقية، ويقوم نطاق الملحق العربي بترميز الحروف التي تستخدم في كتابة اللغات الأفريقية غير العربية، ويتم تصميم لوحات المفاتيح في الدول المختلفة بأشكالٍ مختلفة، كي لا يتم نقل خواص الأداء في لوحة المفاتيح الموجودة في العراق مثلا، إلى تلك الموجودة في لوحة مفاتيح المملكة العربية السعودية، ويمكن أن تشمل الاختلافات إدخال مفاتيح لغير الأحرف الأبجدية، وجميع لوحات المفاتيح العربية تسمح بكتابة الأحرف الرومانية لكتابة عنوان الموقع في متصفح الويب، وكل لوحات المفاتيح

[1] مناهج جامعة المدينة العالمية.(د.ت). الأدب المقارن، جامعة المدينة العالمية: المدينة المنورة، ص304.

[2] الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.(د.ت). مجلة البحوث الإسلامية، ج27، د.ن: د.م، ص226.

[3] أبجدية-عربية/https://ar.wikipedia.org/wiki

العربية تحتوي على لغتين :العربية والرومانية على المفاتيح، وغالبا ما تبدأ لوحات المفاتيح العربية بالحروف الرومانية"QWERTY" ، إلا في دول الشمال الأفريقي المتحدثة بالفرنسية حيث تأتي لوحات المفاتيح بنسق "AZERTY" للحروف الرومانية، ونجد أن ترميز اليونيكود للغة العربية هو وفق ترتيب منطقي، أي أن الأحرف يتم إدخالها وتخزينها في ذاكرة الكمبيوتر في الترتيب الذي كانت الأحرف مكتوبةً به دون القلق بشأن الاتجاه الذي سيتم عرض الأحرف به على الورق أو على الشاشة، ومرةً أخرى، فإن وضع الحروف في الاتجاه الصحيح أمرٌ متروكٌ للمحرك، وذلك باستخدام قدرة يونيكود على الكتابة النصية في الاتجاهين، وإذا كانت الكلمات العربية على هذه الصفحة مكتوبةً من اليسار إلى اليمين، فهذه إشارةٌ إلى أن محرك اليونيكود المستخدم للعرض محركٌ قديم، وهناك أدواتٌ على الإنترنت، مثل محرر موقع يَمْلي الذي يسمح بإدخال الحروف العربية من دون وجود دعمٍ مثبتٍ للغة العربية على جهاز كمبيوتر ودون علمٍ بتخطيط لوحة المفاتيح العربية، وتم تطوير أول برنامج من نوعه في العالم الذي يتعرف على الكتابة اليدوية العربية في الوقت الحقيقي(Real-time) ، من قبل باحثين في جامعة بن غوريون، ويتيح النموذج للمستخدم أن يكتب الكلمات العربية يدويا على شاشةٍ إلكترونيةٍ تحلل النص الذي تم إدخاله، وتقوم بتحويله إلى نصٍ عربيٍ مطبوعٍ على الشاشة في جزءٍ من ألفٍ من الثانية، ونسبة الخطأ به أقل من (3%)[1].

واستحدث برنامج تحويل النصوص من الأبجدية اللاتينية إلى الأبجدية العربية الأفريقية، مع توفير دليل لاستخدامه، كما قامت الإيسيسكو بالتعاون مع عدد من المؤسسات التربوية والعلمية والثقافية المعنية، وعلى رأسها جامعة أفريقيا العالمية بترجمة وطباعة ونشر أحد عشر (11) عنواناً تراثياً وفقهياً إلى أربع عشرة (14) لغة أفريقية[2]، وقد لعبت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليكسو)، وكذا المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الأسيسكو) دورًا رئيسيًا لإبراز قيمة اللغات الإفريقية المكتوبة بالحرف العربي، كما عنى بهذه القضية المعهد الثقافي الإفريقي العربي في باماكو، وأفادت تلك المؤسسات إلى جانب جهود الباحثين في الدفع ببعض الدول الإفريقية لكتابة بعضٍ من لغاتها الوطنية أو الرسمية بالحرف العربي، مما يثير جدلاً واسعًا في القارة يثرى الثقافة العربية الإفريقية[3].

أثر التكنولوجيا على الخط العربي:

قضت الآلة الكاتبة والحاسب الآلي والمطبعة بكافة أنواعها على فنون الخط العربي؛ حيث كان الخط من الفنون التي لا تقل إبداعًا وعمقًا عن فنون التصوير المتباينة, ونستطيع أن تدق على حروف الآلة الكاتبة بغير أن تتعلم فنون الخط فتخرج كتابتك مقننة على المستوى العالمي، أو قل إن خطك يكون نموذجيا بحيث لا تكون بحاجة إلى مزيد من تعلم فنون الخط, وصار الخط الكوفي والخط النسخ وخط الرقعة وغيرها في خبر كان, وصارت القاعدة هي أن تكتب بأي خط لتحيله إلى خط جميل مقنن على الآلة الكاتبة والحاسب الآلي[4].

دعوات إصلاح الخط العربي:

ظهرت دعوات عدة لإصلاح رسم الخط العربي، فمرة ينادوا بإصلاحه عن طريق استبدال الحروف اللاتينية به، مع أن الحروف اللاتينية قاصرة عن استيفاء حروف الهجاء العربية، كما يعترف بذلك المستشرق الإيطالي "نالينو"، إذ يقول في اعترافه: "إن الخط العربي موافق لطبيعة اللغة العربية، ولو أردنا استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لتحتم علينا إيجاد حروف جديدة نضيفها إلى الأبجدية اللاتينية الحالية، لكي تعبر عن الأصوات العربية التي تمثلها حروف: ج - ح - خ - ش - ط - ظ - ص - ض - ع – غ، ولاحتجنا كذلك إلى التمييز بين الحروف المتحركة الممدودة وبين الحروف المقصورة"[5]، ومهما حاول البعض التجديد فلا مفر من الإبقاء على الحروف العربية بأشكالها الراهنة، على أن نرمز إلى بعض ما ينقصنا من الأصوات الأجنبية، وكل محاولة لاستبدال الحروف اللاتينية بالأبجدية العربية مقضي عليها بالإخفاق، على أنه يتحتم علينا تشكيل الحروف كتابة وطباعة، ضبطًا للفظ بما تمليه قواعد الإعراب، وتيسيرًا للقراءة الصحيحة التي يقال فيها دائمًا عن العربية: إن علينا أن نفهمها لنقرأها، بينما نقرأ غيرها فنفهمها، ومن المناسب ألا نفرق في هذا الصدد بين الكتب المؤلفة للمبتدئين وكتب المطالعة للمثقفين، مع التخفف من بعض الحركات[6]، ومن أهم الدعوات لذلك دعوة لطفي السيد إلى إصلاح الخط العربي سنة

---

[1] أبجدية-عربية/https://ar.wikipedia.org/wiki

[2] http://www.isesco.org.ma/index.php?option=com_k2&view=item&id=12026&Itemid=82&lang=ar

[3] http://onaeg.com/?p=2268592، وأنظر: http://www.albawabhnews.com/1280509

[4] أبو ذكري، السيد مرسي.(1982م). المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف: القاهرة، ص313.

[5] حَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن.(2000م). مرجع سابق، ص380.

[6] الصالح، صبحي إبراهيم.(1960م). مرجع سابق، ص355.

(1899م) وذلك بالدلالة بالحرف على الحركات فتكتب سعدٌ بالرفع هكذا (ساعدون) وبالنصب (ساعدان) والجر (ساعدين)، وبفك الإدغام فتكتب محمد هكذا (موحامادان) في الرفع و (موحامادان) في النصب و (موحامدين) في الجر وهو يوافق في ذلك القاضي الإنكليزي (ولمور) و"الأب" (أنستاس) في خططها للقضاء على لغة القرآن ومحو الشخصية المسلمة، وكذلك كان يدعو إلى اللهجة العامية على وفق ما دعا إليه المستشرقون والمبشرون مثل مولار[1].

ورأى كَثِيرُونَ من المولعين بِالْعَرَبِيَّةِ وَمَا يتَعَلَّق بهَا من خطّ وَنَحْوه أَنه يَنْبَغِي أَن يوضع فِي هَذَا الْعَصْر علائم للحركات المشوبة ليكُون الْخط الْعَرَبِيّ وافيا بالغرض فِيهِ فَإِنَّا كثيرا مَا نحتاج إِلَى كِتَابَة كَلِمَات فِيهَا شَيْء من تِلْكَ الحركات فَإِن كتبناها بِمَا يقرب مِنْهَا من الحركات الْمَحْضَة كَانَ تحريفا لَهَا وَرُبمَا كَانَ مغيرا لمعناها مَعَ أَن الْأَمر فِي ذَلِك سهل إِذْ لَيْسَ فِيهِ تَغْيِير لشَيْء من الْخط وَإِن الْحَاجة ماسة إِلَيْهِ جدا فنكون قد أجبنا دَاعِي الزَّمَان، على أَنه يَنْبَغِي لنا أَن نراعي شَأْن سَائِر الْأُمَم الَّتِي كتبت لغاتها بالخط الْعَرَبِيّ كالفرس وَمن نحا نحوهم فَإِنَّهُم كثيرا مَا يَحْتَاجُونَ إِلَى العلائم الْأُخْرَى فَإِذا وضعت كَانَ الْخط الْعَرَبِيّ وافيا بحاجتهم وَفَاء تَاما وَلَا يَنْبَغِي أَن يلْتَفت إِلَى قَول من يَقُول إِن هَذَا نقص لَا يذكر بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا وَقع فِي الخطوط الْأُخْرَى فَإِن هَذَا قَول من يرض بِالنَّقْصِ مَعَ إِمْكَان الْكَمَال، وَلَو دَعَا الدَّاعِي إِلَى ذَلِك فِي عصر الْخَلِيل لبادر هُوَ أَو أحد مِمَّن ينْتَمِي إِلَيْهِ إِلَى إِجَابَة الدَّاعِي، وَأما عدم وضعهم قَدِيما عَلامَة للحركات المشوبة كالإمامة والإشمام مَعَ وجود ذَلِك فِي لُغَة الْعَرَب، فَيمكن أَن يكون سَببه كَون ذَلِك لَيْسَ فِي لُغَة قُرَيْش الَّتِي هِيَ الْمَقْصُود الأول وَعَلَيْهَا عِنْد اخْتِلَاف اللُّغَات الْمعول وَيضم إِلَى هَذَا مَا كَانَ لَهُم من شدَّة الْعِنَايَة بالرواية والتلقي من الأفواه[2].

نماذج وثائقية للدلالة على تطور الكتابة العربية وتأثيرها وتأثرها بأحرف اللغات الأخرى مع دراسة دبلوماتيكية لبعضها:

النموذج المصري[3]:

الخصائص الداخلية:

عبارة عن: نقد تفسيري تأويلي، وفيه يتعرف الوثائقي على مدى مُطابقة المعلومات والحقائق الواردة في الوثيقة للواقع، وما إذا كانت هذه الوثيقة تحتوي على أكاذيب وأخطاء أم لا، والنقد الداخلي يدُلنا على مصدر الوثيقة، وتحديد الظروف التي أُنتجت فيها.

والوثيقة التي بين أيدينا مكتوبة باللغة العربية مع وجود بعض الألفاظ التركية مثل: (الملحق أ، وثيقة(1) سطر1: لعطوفتلو، دولتلو وافندم)، (الملحق أ، وثيقة(1) سطر3: الخديوية)، والكاتب – في العموم – غير مُهتم بقواعد اللغة العربية والرسم الإملائي؛ حيث نجد أنه:

- أثبت الهمزات في أغلب الوثيقة إلا أنه أهملها في بعض الكلمات كالتالي: (الملحق أ، وثيقة(1) سطر1: اسكندرية، افندم)، (الملحق أ، وثيقة(1) سطر3: افندم، الادبخانات، اذ)، (الملحق أ، وثيقة(1) سطر4: الاسماع)، سطر(5)، اضرارات - ازالتها، سطر(6)، الاقتضى، سطر(7)، الى، (سطر8: اغلب)، سطر9: الاعسار)، (سطر10: وانواع)،)سطر11: امتلاء، ادبخانته، اليه)، (سطر12: التزام)، (سطر13: الاراده)، (سطر14:الى، الاسقام).
- أثبت الهمزة التي فوق الألف أو تحته أثبتها همزة على السطر مثل: (الملحق أ، وثيقة(1) سطر3: لاءلغاء)، (سطر4: نشاء)، (سطر6: ملاءها)، (سطر13: الاءضرار).
- أثبت الهمزة على الياء المُنتهية مثل: (الملحق أ، وثيقة(1) سطر7: الناشىء).
- أثبت الهمزة على النبرة وأثبتها ياء كذلك مثل: (الملحق أ، وثيقة(1) سطر8: عوائد).
- عدم إثبات الهمزة على الواو مثل: (الملحق أ، وثيقة(1) سطر9: هولاء).
- قلب الهمزة على النبرة ياء: (الملحق أ، وثيقة(1) سطر10: الروايج).

[1] المقدم، محمد أحمد إسماعيل.(2007م). عودة الحجاب، ط10، ج1، دار طيبة: القاهرة، ص75.

[2] السمعوني، طاهر بن صالح بن أحمد بن موهب.(1995م). مرجع سابق، ص832.

[3] أنظر الملحق(أ)، وثيقة (1).

- أعتاد وصل الهاء المُنتهية بالراء التي قبلها مثل: (سطر1: الوزاره، (الملحق أ، وثيقة(1) سطر11: الضروره).
- أثبت في كثير من الكلمات التشكيل مثل: الفتحة والشدة (الملحق أ، وثيقة(1) سطر1: بَثّ، الضمة)، (سطر1: تُرفع، التنوين)، (سطر3: تيقناً)، الكسرة(سطر9: الإعسار، السكون)، (سطر5: أذْعَنتْ)، (سطر11: حَدَبْ).
- تشبيك بعض الكلمات ببعضها مثل: (الملحق أ، وثيقة(1) سطر3: الادبخانات)، (سطر15: كلما).
- عدم استخدام صيغ المبنى للمجهول مثل: (الملحق أ، وثيقة(1) سطر3: ان ستزال).
- عدم الاكتراث كثيراً بالمُفرد والجمع، والمُذكر والمؤنث سواء في الأفعال أو أسماء الإشارة أو الأسماء الموصولة مثل: (الملحق أ، وثيقة(1) سطر7: الأضرار الناشىء)، (سطر13: الإرادة بالغاه).

النموذج العُماني[1]:

الخصائص الداخلية:

تتناول دراسة كل ما يتعلق بما يلي:

الخصائص اللغوية:

لاشك أن قراءة أحرف اللغة المُحررة بها الوثائق موضوع الدراسة بعد كتابتها بكل هذه السنين رُبما تصدمنا؛ لغرابتها وبُعدها عنا، فأساليبها قد تكون طريفة أحياناً، أو مُلتبسة أحياناً أخرى، ورُبما كان هذا راجعاً إلى أن كُتابها غير حاذقين في الكتابة العربية، وغالباً لا يوجد مُراجع لهذه المُكاتبات لقلة عدد المُتعلمين، هذا بجانب الكلمات العامية العُمانية التي رُبما تكون صعبة على بني جلدتهم في الوقت الحاضر فما بالنا بمن ليسوا عُمانيين، وأدى عدم إلمام كُتاب الوثائق بقواعد اللُغة العربية في الرسم، بالإضافة إلى عدم إلمامهم بقواعد النحو جعلهم يرسمون ما يُنطق كما هو، دون مُراعاة لقواعد الرسم أو النحو، وقد يرجع ذلك الى أن معظم هذه الوثائق كانت تُكتب بشكل عاجل، ولا تُستخدم فيها الرسميات، إلا أن هذا الجانب مع ما فيه من عوار إلا أنه قد وثق لنا - بطريقة غير مقصودة - اللغة المنطوقة لذلك العصر، والتي حجبها عنا الرسم الصحيح للغة.

وكُتبت الوثائق - محل الدراسة – بالأحرف واللغة العربية مع وجود كثير من الكلمات العامية العُمانية المحلية، وبعض الألفاظ الأجنبية، وعموماً اللغة ركيكة غير بليغة، وتتسم اللغة المُحررة بها الوثائق بعدة خصائص مُميزة؛ من حيث إثبات الأحرف أو إسقاطها، أو قلبها إلى أحرف أخرى، أو نسيان كتابة بعضها، وقد تُصاغ الأحرف بالطريقة الصحيحة، فُمهمة كاتب الوثائق هى النَسخ والإملاء اللذان يتأثران بأي أخطاء ناتجة عن السهو، أو عدم الدقة، أو عدم الفهم الصحيح للمعنى المقصود، وتوضح الدراسة الباليوجرافية لخطوط الوثائق وجود ظاهرة لُغوية إملائية سائدة في كتاباتها وهى استبدال الهمزة بحرف من حروف العلة المُلائمة مثل: الواو أو الياء أو الألف، وقد تُحذف الهمزة المُفردة نهائياً من الكلمات، وأهملت الهمزات في أول الكلمات، وأهملت الهمزات التي هى على نبرة آخر الكلمات، وأبدلت الهمزة اللينة ياء، والهمزة على الألف أثبتها على نبرة مثل: نساءلك(ملحق ب، الوثيقة:1)، واستبدال الياء ألفاً مقصورة والتاء المربوطة هاء، ورسمت التاء المربوطة تاء مفتوحة، والتي تُعتبر من إحدى مظاهر التأثر باللغة التركية أو العكس مثل رحمت(ملحق ب، الوثيقة:8، 9)، ووصل كلمتين أو حرف وكلمة أو ضمير وكلمة ببعضها ليكونا كلمة واحدة، وعدم استخدام صيغ المبني للمجهول، والكُتاب لم يكترثوا كثيراً بالمُفرد والجمع، والمُذكر والمؤنث سواء في الأفعال أو أسماء الإشارة أو الأسماء الموصولة، وخلط الكُتاب في الكتابة بين الأحرف المُتشابهة في النُطق أو في الشكل كالدال والضاد، والتاء والطاء والتاء المفتوحة والتاء المربوطة[2]، والهاء المربوطة والتاء المربوطة، وكتابة الراء دال، وقُلبت الهمزة ياء، وأحياناً يُثبت الهمزة مع قلبها ياء كذلك، ووصل الهاء أو التاء المربوطة المُنتهية بالحرف السابق لها في حالة ما إذا كان راء أو دال، ووصل واو وألف الجمع المنتهيين ببعضهما، والياء المُنتهية يرجع بها للخلف في بعض الوثائق(ملحق ب، الوثائق:1، 7، 8)، وتتم صياغة بعض كلمات الجمع على غير

[1] أنظر الملحق(ب)، من 1 – 10.

[2] يتم إبدال صوت مكان صوت يتفق معه في المخرج، إلا أنه يختلف معه في التفخيم والترقيق مثل: التاء والطاء، فكل منهما صوت شديد مهموس، غير أن الطاء أحد أصوات الإطباق، ونظيرها غير المُطبق هو التاء. أنيس، إبراهيم.(1975م). الأصوات اللغوية، ط5، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص25، 61، 63).

قواعدها، وعند صياغة الأرقام يتم كتابتها حسابياً ثم تُتبع بكتابتها بالأحرف العربية، وقد لا تُرسم سنة الصاد ولا الضاد، وعند كتابة التواريخ داخل الوثيقة تُكتب كلمة السنة كثيراً بدون نون ويُخط فوقها السنة حسابياً وقبلها يُثبت اليوم حسابياً أما الشهر إن كان هجرياً يُكتب حروفاً، وإن كان ميلادياً إما حروفاً أو أرقاماً، ويُغفل الألف الأولى المفرد في أول الكلمة فتُكتب كما تُنطق مثل: عتقها(ملحق ب، الوثيقة:1)، وجود كلمات أجنبية كُتبت بأحرف عربية مثل: كنسل، الأنجريز، قبطان(ملحق ب، الوثيقة:2)، ووجدت كلمات أجنبية بأحرف لاتينية على الطوابع والخاتم والأمور المُتعلقة بالتسجيل(ملحق ب، الوثيقة:3، 5)، الكاف المُنتهية تُكتب كأنها متوسطة مع جزء من كتابتها منتهية(ملحق ب، الوثيقة:2)، التاء المنتهية كُتبت هاء مربوطة(ملحق ب، الوثيقة:2)، الهمزة على نبرة تُقلب ياء وسط الكلمات مثل: الكاين، ماية(ملحق ب، وثيقة:3)، أحياناً يثبت نقطتان تحت الياء المنتهية وأحياناً ولا يُثبتها، لا تُثبت الهمزة على الواو مثل: يوتيه(ملحق ب، وثيقة:8).

علامات الترقيم والشكل:

هى علامات اصطلاحية تُوضع في أثناء الكلام أو في آخره، كالفاصلة، النقطة وعلامتي الاستفهام والتعجب، وكُتاب الوثائق محل الدراسة لم يهتموا بإثبات هذه العلامات، أما الشكل فلم يُثبَت في أغلب الوثائق اللهم إلا الوثيقة(1، ملحق ب) في الجزء الأول والأخير منها، واستخدمت الشدة والتنوين بالوثيقة(2، ملحق ب)، والشدة بالوثيقة(5، ملحق ب)، والفتحة والضمة والشدة والتنوين(الوثيقة:8، ملحق ب).

استخدام عناصر عامية عُمانية:

استخدم كُتاب الوثائق كثيراً من الكلمات العامية العُمانية في الكتابة مثل: غلاية، شريعة الفلج(الوثيقة:1، ملحق ب)، الرم(الوثيقة:4، ملحق ب)، طرش(الوثيقة:8، ملحق ب)، مشام(الوثيقة:8، ملحق ب)، هذا بجانب الأماكن العُمانية: قرية ضنك من غربي الظاهرة سفلى شريعة الفلج المسمى التله الذي غلاية قرية ضنك المكان الذي يسمونه العوجا (الوثيقة:1، ملحق ب)، زنجبار(الوثيقة:2، ملحق ب)، بموضع وفوجه من أرض زنجبار(الوثيقة:4، ملحق ب)، وأهم مُفردات العُملة المُستخدمة في الوثائق هى: القروش(الوثيقة:4، ملحق ب)، وأظهرت لنا الوثائق الكثير من أسماء الرجال المُتداولة بعُمان فكان منهم الرجل العادي: سلطان بن محمد بن سعيد(الوثيقة:3، ملحق ب)، هلال بن عبد الله البرواني، سالم بن عبد الله، سيف بن ناصر بن سليمان الخروصي(الوثيقة:4، ملحق ب)، عامر بن سعيد خادم الجهاضم، سالمين خميس الحبسي(الوثيقة:7، ملحق ب)، زهران بن حميد الجهضمي(الوثيقة:7، ملحق ب)، صالح، علي بن سليمان، مسعود وعلي بن محمد، هلال بن محمد، بدر بن هلال وابراهيم بن عيسى(الوثيقة:8، ملحق ب)، سليم بن سليم بن عبيد، سعود بن عامر، سالم بن ناصر(الوثيقة:9، ملحق ب)، ومنهم الشاعر مثل: أبي سلام الكندي(الوثيقة:8، ملحق ب)، ومنهم الكُتاب مثل: سليم بن مه.....(الوثيقة:1، ملحق ب)، سليمان بن علي(الوثيقة:2، ملحق ب)، حسن عمير(الوثيقة:5، ملحق ب)، محمد بن حمد الجنيبي(الوثيقة:7، ملحق ب)، هذا بجانب أسماء النساء الأحرار والإماء الواردة بالوثائق مثل: خديجة بنت محمد ابن أحمد النوفلية(الوثيقة:5، ملحق ب)، فاطمة بنت إبراهيم(الوثيقة:6، ملحق ب)، الخادمة شُميسه(الوثيقة:8، ملحق ب)، وأسماء العُتقاء والعبيد: سعيد(الوثيقة:3، ملحق ب)، محمد بن سالمين الانجريجي(الوثيقة:4، ملحق ب)، حامد بن خلفان خادم بني شكيل(وهو في نفس الوقت كاتب)(الوثيقة:4، ملحق ب)، مسوق بن بوان عيد(الوثيقة:5، ملحق ب)، العبد هاشم بن سالم(وهو أيضاً شاهد)(الوثيقة:7، ملحق ب)، الخادم حنجور بن خيفور(الوثيقة:8، ملحق ب)، الخادم صنقور بن مقيني(الوثيقة:9، ملحق ب)، والوظائف المذكورة بالوثائق هى: شيخ، قاضي، قنصل، قبطان.

استخدام عناصر لغوية غير عربية:

لا يوجد بالوثائق سوى أسمان أجنبيان مثل: المستر ادون ستوار كنسل دولة أنجريز في زنجبار(الوثيقة:2، ملحق ب)، الجنرال سرلويد وليم مثيوس(الوثيقة:4، ملحق ب)، وبعض الكلمات الأجنبية على الخاتم والطوابع وعبارات التوثيق(الوثيقة:4، 5، ملحق ب).

الآيات القرآنية والأدعية والألقاب في الوثائق:

وظفت بعض آيات القران الكريم في بعض الوثائق وقد أخطأ في كتابتها، وكذلك لم يذكر الكاتب أنها آية قرآنية وبالتالي لم يُحدد السورة ولا الآية الكريمة مثل: ذلك فضلا منه يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم(وثيقة:8، سطر6، 7، ملحق ب)، والكُتاب كثيراً ما استخدموا ألفاظ التحقير تذللاً لله مثل: من الحقير (الوثيقة:2، 6، ملحق ب)، وكذلك وجد بالوثائق ألقاب كالعالم والفقيه مثل: سعيد بن

عبيد بن عامر الحجري(الوثيقة:1، ملحق ب)، الشيخ سليمان بن علي المزروعي(الوثيقة:5، ملحق ب)، والسادة حكام زنجبار: ماجد بن سعيد(الوثيقة:2، ملحق ب)، حمود بن محمد بن سعيد(الوثيقة:4، ملحق ب)، والشيخ (مشايخ المناطق والقرى) مثل: علي بن سعيد المندري(الوثيقة:1، ملحق ب)، محمد بن خميس بن حمد(الوثيقة:3، ملحق ب)، سالم بن عزان البلوشي(الوثيقة:4، ملحق ب)، برهان بن عبد العزيز الأموي(الوثيقة:4، ملحق ب)، سالم بن سيف، راشد بن سالم المزروعي(الوثيقة:5، ملحق ب)، سالم سيف البلوشي، راشد بن سعيد البداعي(الوثيقة:6، ملحق ب)، ناصر بن سالم بن سلطان المسكري(الوثيقة:8، ملحق ب)، محمد بن الشيخ الأغبري(الوثيقة:9، ملحق ب)، والقضاة مثل: القاضي طاهر بن أبى بكر الأموي(الوثيقة:5، ملحق ب)، القاضي سيف بن حماد(الوثيقة:6، ملحق ب)، وابتدأت الوثائق بالبسملة ما عدا الوثائق(3، 4، 5، ملحق ب)، وابتدأت الوثيقتان(4، 5، ملحق ب) بعبارة (بمنه تعالى)، ولا توجد أدعية تخويفية أو زاجرة ولا المشائية ولا الحوقلة، واستخدمت العبارات ذات الدلالة الإسلامية وإرجاع العلم لله، وأن هذا ما وافق الشرع وإجماع المسلمين مثل: وقد وقف المسلمون عن التفريق والله اعلم، ولا يوجد منه إلا ما وافق الحق والصواب(الوثيقة:1، ملحق ب)، وكثرت عبارات الدعاء مثل: حرس الله شمس سعده وحما هلال مجده آمين، وأنت سالم والسلام(الوثيقة:2، ملحق ب)، سلمه الله تعالى(الوثيقة:3، ملحق ب)، حفظه الله، ولك الأجر من الله تعالى والشكر مني(الوثيقة:5، ملحق ب)، لا عدمناك ذخرا(الوثيقة:6، ملحق ب)، حماه الله، يحمد إليك ذي الجلال على جزيل النوال لا برحت سدد الاحوال، اعلامنا طيبة والحمد لله، رزقكم الله من فضله الواسع(الوثيقة:8، ملحق ب).

صيغ التلحيق:

لا توجد بالوثائق صيغ تلحيق؛ لعدم ارتباطها بأوراق أخرى.

طرق استخدام الأرقام في الوثائق:

الرقم في علم الحساب هو: الرمز المُستعمل للتعبير عن أحد الأعداد البسيطة وهى الأعداد التسعة الأولى والصفر:1، 2، 3، 4، 5،...، وقد كُتبت الأعداد بالأرقام الحسابية(وثيقة:3، سطر3، 4، ملحق ب) أو بالأحرف(أربعين: وثيقة:3، سطر3، 4، ملحق ب)، وكُتبت كذلك المبالغ النقدية بالأرقام الحسابية أو بالأحرف العربية(وثيقة:3، 4، 7، 9، ملحق ب).

طرق تدوين التاريخ في الوثائق:

التاريخ هو عدد الليالي والأيام بالنظر إلى ما مضى من السنة أو الشهر وإلى ما تبقى منهُما، وهو مُحقِق للخبر ودال على قُرب عهد الكِتاب وبُعده، وقد كُتبت الأيام- سواء في التاريخ الهجري أم الميلادي - بالأرقام الحسابية، والشهور العربية كُتب بالأحرف، أما التاريخ الإفرنجي فكُتب حسابياً باليوم والشهر، أما السنة فيذكر منها رقمي الآحاد والعشرات فقط مثل: 26 .8 .16(خاتم الوثيقة:5، ملحق ب)، والسنوات العربية والإفرنجية كُتبت بالأرقام بوضع الأرقام الحسابية فوق كلمة السنة بعد مطها شيئاً ما مثل: 2 من شهر شعبان سـ1314نه(وثيقة:4، سطر7، ملحق ب)، مع وجود وثائق أثبت الكاتب لفظة السنة ثم أتبعها بقيمتها حسابياً، وقد يثبت السنة ويعقبها بكلمة(هجرية) مثل: 20 شهر رمضان سنه 1281هجرية(وثيقة:1، سطر18، ملحق ب)، أو مجرد حرف الهاء للإشارة على أنها هجرية مثل: 15 شوال سنه 1282هـ(وثيقة:2، سطر9، ملحق ب)، أو لا يذكر الكلمة ولا حتى الحرف مثل: يوم 28 محرم سنه 1303(وثيقة:3، سطر6، ملحق ب)، أو أن يختصر الشهر الهجري ويكتب السنة حسابياً دون ذكر للفظة السنة مثل: ف9 ج 2/ 72 /13(وثيقة:8، ملحق ب)، أو أن يختصر الشهر الهجري مع ذكر لفظة السنة مثل: 19ج2 سـ1389نه(وثيقة:9، سطر9، ملحق ب).

نموذج الوثيقة السواحيلية[1]:

1. ذكرى نمبر 2 يا مواك 1938.
2. جين لموني شامب Abdulla bin Salim bin Mahomed al-Menderi
3. عنوان Mizingani, Jambangome , Mkoani
4. كو موجب وبرو يانغ يا تاريخ نلي كلتي ككباش خبار جو يرهان.
5. ياك يسركال ساس نبذ ككجوليش يكو كليب جاك جمواك كليج ترجيو نكميت يمدين.

[1] أنظر الملحق(ج)، وثيقة(1).

6. نشلنغ - /shs150
7. أمكياس كمعريف بوان د.س. قبل يا اكو اكو امبند كسكليزو منين.
8. ياك نكميت يمدين.Meeting ya pili itakuwa mwezi 22/8/39
9. اكو هون منين كليب كليج تاجو جو كتتبتيك.
10. امكباس كفهام يكوامب قياس جكليب هيك هويز كغؤك يعني هويز كبنغوزو كتك.
11. مياك يمفون مجتاج او هوند ككغؤزو كتك مياك يا مفون مكوبو هاى يتتنغنيزو كو.
12. امر يبوان جيف سكرتير وسركال ناتكاب تنعنيزو إتكو كو ولاى ز مشامب ناؤتعرفيو.
13. قياس جكليب قبل يكغؤزو.
14. ويو مونيو فيل ووين كئومب كليب جاك كغوزو كتك مواك ووت لكن لا ز م.
15. برو ياك يكئومب ايو كتك مويز و مارش او ابريل او مويز و مي.
16. كليب جاك جمواك لازم كليبو كتك مويز موس و مارش او قبل يهاب نبعداى.
17. فبليب فوت فنافي فوات كتك كل مواك لازم فيو فيل فيل كتك مويز موس و مارش او.
18. قبل امكياس ارتعتي كوامب كليب جاك اكو جوت او كو اينغوف او قياس كلج.
19. زيد كليك كليب جاك جمواك وويز كليب وقت ووت نوكليب مبيم ندفي بور كو.
20. معن اكتنغليز كليب جاك جمواك كو اكليف كتسيدي كبنغوز اصل يدين نكذ لك قعد اتبنغوك.
21. اكو كتك مواك ووت هكليب كليب جاك جمواك كليج امريشو جو او كام كلفي.
22. غوزو كو مو جب وملانغ 4 نا 5 اتكو مكوس نحكم بيت الي تاجو كتك رول 14.
23. (2) يملانغ و 6 و دكري هوند اكتيشو جو ياك.
24. اكو كتك مواك ووت امئون يكوامب هويز كليب كليب جاك جمواك. اناي رخص.
25. يكتاك كئخرشيو سيك يكليب جاك يعني مويز موس و مارش عرض الحال هيز لازم.
26. زليتو قبل يسيك يكونز وموين و فبروري تين سباب زوت زكتاك تاخير نفيل فيل.
27. تاريخ امباى الى جفونغ كليب كليب جاك لازم زانيشو.
28. Date :27th july 1939.
29. COMMISSIONER OF DEBTS

الترجمة:

1. اسم صاحب المزرعة : عبد الله بن سالم بن محمد المنذري.
2. عنوان المكان:Mizingani, Jambangome, Mkoani
3. بموجب الرسالة التي أرسلتها الحكومة بموضوع الرهن الآن أخبرك أن دفع القسط على حسب لجنة تحسين الديون سيكون 150شلنغ.
4. لزم أن تخبر د.س. (لجنة تحسين الديون) قرارك قبل 8/15/ 39، وإذا وافقت على شرط اللجنة فيجب الدفع بتاريخ 8/22/ 39في منطقة شكشك.
5. إذا لم يكن لديك اعتراض في دفع القسط السنوي سوف يتم تثبيت قرارك بذلك.
6. القسط السنوي غير قابل للتغيير ولا يمكن تخفيض عدد سنوات الحصاد القديم ويمكن تغيير في عدد سنين الحصاد الجديد وهذا سوف ينظم بأمر ممثل الحكومة وسيكون في ولايات محددة وسيتم ارسال رسالة بذلك.
7. وكذلك يمكنك تقديم طلب تغيير القسط السنوي في أي سنة ويجب أن يكون في هذا الاشهر مارس وأبريل ومايو.

8. يجب أن تدفع القسط السنوي في شهر مارس أو أبريل أو مايو أو قبل ذلك، وجميع الأقساط التابعة لكل سنة يجب أيضا أن تدفع في هذه الأشهر أو قبل ذلك، وإذا كان القسط أقل أو أكثر من ذلك يكون الدفع ف أي وقت، وإذا أردت أن تدفع قسط الدين والايجار بمبلغ أكثر سيكون عدد السنوات أقل.
9. بموجب الباب الرابع، إذا لم تدفع القسط في أي سنه من السنوات كما حدد لك سوف يكون ذلك جريمة ومخالفة تعاقب عليها حسب القانون.
10. إذا لم تستطع دفع القسط في التاريخ المحدد (شهر مارس أو أبريل أو مايو) في أي سنة من السنوات، فتستطيع تعبئة استمارة تأخير الدين قبل شهر مارس، مع ذكر أسباب تأخير الدفع.

المداد والدواة:

مداد: حبر والجمع أمدده، ونجد مداد الصوف أي الحبر الذي استعمل لصبغ الصوف، وسخام المدخنة الذي هو المداد والدخان والذي هو بالأسبانية= فليين أي: hollin السخام، الهباب[1]، وحِبْر [مفرد]: ج أحْبار وحُبُور: وحَبْر، عالِم دينيّ، وقد يُخصُّ به علماء اليهود، والمداد السائل يُكتب به وقولهم: "أنا لا أغمسُ ريشتي في الحِبْر بل في الحياة"، وأمُّ الحبر: قنّينة(زجاجة) الحبر، والحِبْر السرّيّ: مداد لا لون له يستعمله الجواسيسُ في كتابة رسائلهم، يبقى مخفيًا حتى يعالج بمادّة كيميائيّة أو بالحرارة أو بتسليط ضوء معيّن عليه، وقلم الحِبر: قلم يحتوي على أنبوبة تملأ بالحبر، وتسجّل مواقفه بمداد الفخر: يُعتزّ بها، امتداد، عدد وكثرة[2].

ويُقالُ هو المِدادُ وهي المِدادُ لأنَّه جَمعُ مِدادةٍ، ومَدَدتُ الدَّواةَ أَمُدُّهَا مَدّاً وهي دَواةٌ مُمَدَّةٌ إذا جعلتَ فيها مِداداً فزدتَ فيها مداداً آخرَ تَقولُ: أمددتُها إمداداً فهي مُمَدَّةٌ وكلُّ شيء يَزِيد في شيءٍ بنفسه فإنَّهُ يُقالُ فيه: مَدَّهُ يَمُدُّهُ، فإن كانَ الشَّيءُ يزيد في الشَّيءِ بغيره فهو بالألف يُقالُ: أمددتُهُ بالرِّجالِ وبالمالِ، وكلُّ شَيءٍ أمددتَ به شيئاً فهو مِدادٌ ومنه أُخِذَ اسم المِدادِ، وتَقولُ: استَمدِدْ من الدَّواة إذا أمرتَهُ أن يأخذَ على القلم مِداداً، واستمدد فلاناً إذا سألته أن يجعَلَ على قلمك مِداداً فيقول: قد أمددتُك إمداداً، وتَقولُ: أَمِدَّني على قلمي مِداداً وأَمِدَّني من دَوَاتِكَ أي: أمكِنّي من مِدادها فأستمدَّ منه[3]، وقال الله تبارك وتعالى: {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} [الكهف: 109]، سُمّيَ المداد مدادًا لإمداده الكاتب، وهو الذي يُسمى بالحبر، ويُسمى مداد لأنه يمد الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء، ويقال: للزيت الذي يُوقد به السراج مداد، وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ}[4]، المداد: السائل يكتب به[5]، والمداد: اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط، ويقال: السماء مداد الأرض[6]، وقيل أن مداد الفقيه على ثوبه أحب إليه من الغالية[7]، وروى عن إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يُرَى فِي ثَوْبِ الرَّجُلِ وَشَفَتَيْهِ مِدَادٌ"[8]، وروى أن بنان الشِّيرَازِيّ كَأَنَّهَا أمطرت مدادا، وَجَاء عَن ابْن الْمسيب بن وَاضح، قَالَ سَمِعت ابْن الْمُبَارك يَقُول: إِذا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة وزن حبر الْعلمَاء وَدم الشُّهَدَاء فرجح حبر الْعلمَاء على دم الشُّهَدَاء، وَحكى الْمَاوَرْدِيّ فِي الْأَدَب أَن عبيد الله بن سُلَيْمَان رأى على ثوبه أثر صفرَة فَأخذ من مداد الدواة وطلي بِهِ، ثمَّ قَالَ المداد أحسن

---

[1] دُوزِي، رينهارت بيتر آن .(2000م). تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه جمال الخياط، ط1، ج10، العراق: وزارة الثقافة والإعلام، ص27.

[2] عمر، أحمد مختار عبد الحميد .(2008م). بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، ج1، ج3، القاهرة: عالم الكتب، ص435، 2078، وأنظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.(د.ت). المعجم الوسيط، ج2، القاهرة: دار الدعوة، ص858.

[3] الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .(د.ت). رسالة الخط والقلم، (د.م: د.ن)، ص2.

[4] أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي.(د.ت). شرح سلم الوصول في علم الأصول، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، ج11، ص21، وقع الاسترجاع 9/ 12/ 2014م.

http://alhazme.net، وأنظر: ابن حمد، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله العباد البدر.(د.ت). شرح سنن أبي داود، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ج153، ص34، وقع الاسترجاع في 9/ 12/ 2014م

http://www.islamweb.net

[5] الجمل، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد.(2008م). مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، ط1، ج4، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص228، وأنظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله .(1414ه). فتح القدير، ط1، ج3، بيروت: دار الكلم الطيب، ص375.

[6] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد .(1407ه). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، ج2، بيروت: دار الكتاب العربي، ص750.

[7] الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني .(د.ت). الأمالي – مخطوط، (د.م: د.ن)، ص43.

[8] ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو .(1986م). معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، بيروت: دار الفكر المعاصر، ص201.

من الزَّعْفَرَان[1]، وقِيلَ لِلْفَرَّاءِ لِمَ سُمِّيَ الْمِدَادُ حِبْرًا قَالَ: يُقَالُ لِلْعَالِمِ: حَبْرٌ وَحِبْرٌ وَإِنَّمَا أَرَادُوا مِدَادَ حَبْرٍ فَحَذَفُوا مِدَادًا ثُمَّ جَعَلُوا مَكَانه حِبْرًا، ويُقَالُ: قَطِطْتُ الْقَلَمَ أَيْ: قَطَعْت مِنْهُ وَالْقَلَمُ مَقْطُوطٌ، وَقُطَيْطٌ، وَالْمِقَطُّ الَّذِي يُقَطُّ الْقَلَمُ عَلَيْهِ، وَالْمَقَطُّ بِفَتْحِ الْمِيمِ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُقَطُّ مِنْ رَأْسِ الْقَلَمِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ قَطِطْتُ أَيْ قَطَعْت، وَمَا رَأَيْتُهُ قَطُّ أَيْ: انْقَطَعَتْ الرُّؤْيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَالدَّوَاةُ جَمْعُهَا دَوِيَّاتٌ فِي الْعَدَدِ الْقَلِيلِ، وَكَذَا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَفِي الْكَثِيرِ دُوِيٌّ بِضَمِّ الدَّالِ وَيُقَالُ بِكَسْرِهَا وَدِوِيٌّ وَدِوَايًا، وَيُقَالُ: أَدْوَيْتُ دَوَاةً إذَا اتَّخَذْتهَا، وَقَدْ دَوِيَ الدَّوَاةَ أَيْ عَمِلَهَا، فَهُوَ مُدْوٍ، وَيُقَالُ لِمَنْ يَبِيعُهَا دَوَاءٍ، وَالَّذِي يَحْمِلُهَا وَيُمْسِكُهَا دَاوٍ، وَهِيَ جَمْعُ مِدَادَةٍ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، قَالَ الْفَرَّاءُ: إنْ جَعَلْت الْمِدَادَ مَصْدَرًا لَمْ تُثَنِّهِ وَلَمْ تَجْمَعْهُ، وَيُقَالُ أُمِدَّتْ الدَّوَاةُ إذَا جَعَلْتَ فِيهَا الْمِدَادَ، فَإِنْ زِدْت عَلَى مِدَادِهَا قُلْت: مَدَدْتُهَا، وَاسْتَمْدَدْتُ مِنْهَا أَيْ: أَخَذْت فَإِنْ أَخَذْت مِدَادَهَا كُلَّهُ قُلْت: قَعَرْتُ الدَّوَاةُ أَقْعَرَهَا قَعْرًا، وَاشْتِقَاقُهُ أَنَّك بَلَغْت إلَى قَعْرِهَا[2].

عمل المداد وأصنافه:

وجدت وصفات متنوعة لصناعة المداد على مدار العصور وتبعاً للمواد الخام المتوفرة في كل بيئة، فصفة المداد الصيني يشبه الحبر: تأخذ من المداد الفارسي الجيد ما شئت فتسحقه بلبن حليب ثلاثة أيام، كلما جفّ سقيته اللبن وسحقته، ثم صيّره صحائف فإنه يجيء مثل السَّبج، صفة مداد مثله يشبه الحبر: يؤخذ اللاّزِوَرَد ودخان التِّفْط وصمغ السقمونيا وصمغ عربي ودخان عقد الصنوبر من كل واحد جزء، فيعجن بماء الصمغ ويستعمل، وصفة المداد الهندي: تأخذ سمن البقر ودهناً من الأدهان مثل السمن ومثل دهن البان والخيري والبنفسج والنفط، أيّ دهنٍ كان، وتضعه في إناء وتضع عليه إناء آخر وتوقد تحت الإناء الذي فيه الدهن أو السمن أو أيّ دهن أردت حتى يصير الدهن أو السمن كله دخاناً قد صُعِّد في[3] سماء الإناء الأعلى، فتجمعه وتعمل بهذا الدخان كما عملت بالمداد الأول، وهذا السواد يصلح خضاباً لسواد الشعر، وصفة المداد الهندي الآخر: يؤخذ جوز الأرز أو ثمر الصنوبر اليابس أو هما جميعاً ويجعل في جرة جديدة، ويبيَّت في الفرن حتى يصير فحماً، ويخرج من الغد وينعَّم سحقه أياماً في صَلاَية ويسقى بماء الآس المطبوخ وشيء من الزاج المعمول على الصفة المذكورة، فإذا استحكم سحقه بماء الآس يجفف ويسحق بماء الصمغ لكل رطل من الفحم المسحوق أوقيتان من ماء الصمغ، وإن زيد قليلاً لم يضرّه، وإذا اشتد في صلاية نزع منها وعجن وترك في الظل يجيء حسناً، وصفة المداد الكوفي: خذ قشر الرمان وأحرقه وخذ رماده فاعجنه بلبن حليب وشيء من صمغ مبلول، ثم اجعله أقراصاً وجففه في الظل فإنه أجود ما يكون من المداد، وصفة المداد الكوفي آخر: خذ عفصاً رومياً فاحرقه حتى يصير فحمة، ثم اسحقه بماء الصمغ القَوْظ واجعله أقراصاً وجفِّفه في الظل، وصفة المداد الكوفي الثالث: خذ ما شئت من نَوَى النمر، ثم اجعله في قُلَّة وطيّن فمها، وألقها في أتون حامي يوماً وليلة حتى يحترق، ثم أخرجه، فإذا برد فتحت القلة وأخرجت النوى وقد صار مثل الرماد، فتسحقه سحقاً جيداً، وتنخله بخرقة صفيقة، ثم تأخذ صمغاً فتعجنه به في كل يوم مرتين وتجعله أيضاً أقراصاً وتجفِّفه في الظل، وصفة المداد الفارسي: خذ نوى التمر الذي قد نضج في النخل فاجعله في جرَّة على قدر ما تريد منه، وطيّن الجرة بطين الحكمة وقد صيرت على فمها خرقة قبل الطين، فإذا طينتها دعها حتى تجف قليلاً، ثم إن شئت أوقدت عليها الحطب الجزل من غدوة إلى الليل، وإن شئت أدخلها فرن الحدادين، فإذا أخرجتها من النار اتركها حتى تبرد وأخرج ما بها فإنه يخرج أسود كالفحم واسحقه في صلاية وأسقط ماء الصمغ العربي حتى يتفكك ثم اجعله أقراصاً على قدر ما تريد، وصفة المداد العراقي: تؤخذ الشقائق فتحشى في القوارير الدقاق وتدفن في سرجين الدواب حتى تذوب وتصير ماءً وتنحل، ثم تعمد إلى القراطيس فتحرقها وتجمع ما احترق منها بذلك الماء وترفعه إلى أن يجف في الظل، ثم يؤخذ منه وزن درهم، ومن ماء الصمغ العربي وزن درهم ومن العفص المسحوق وزن نصف درهم، فيسحق الجميع بياض البيض، ويبندق ويجفف، وتحشى به الدواة عند الحاجة إليه مع ماء السلق وهو أجود ماء لها، وصفة المداد الأهوازي: يُبدأ فيبنى قبة كبيرة لا ثقب فيها ولا كُوّة، ويُبنى وسطها دكان مربع ويجعل على الدكان سندروس وشعير، ثم تُشعل فيه النار، ثم يُسدّ باب القبة ويترك حتى يحترق كله، ثم يُبرَّد ويُفتح الباب ويجمع الدخان بمناخل، ثم تؤخذ الجلود التي تسقط من أصحاب الرقوق، والرقوق التي تُكتب فيها المصاحف فتوضع في قدر ويصب عليها الماء وتوضع

---

[1] الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر(ت: 794هـ): النكت على مقدمة ابن الصلاح .(1998م). تحقيق زين العابدين بن محمد بلا فريج، ط1، ج3، الرياض: أضواء السلف، ص590.

[2] الراميني، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج أبو عبد الله شمس الدين المقدسي .(د.ت). الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج2، القاهرة: عالم الكتب، ص163.

[3] الصنهاجي، المُعِزّ بن باديس بن المنصور التَّميمي .(1409هـ). عُمْدَةُ الكُتَّاب وعُدَّةُ ذوي الألباب(فيه صفة الخطّ والأقلام والمداد والليق والحبر والأصباغ وآلة التَّجْليد)، حقَّقه وقدم له نجيب مايل الهروي، عصام مكّية، ط1، إيران: مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ص33.

على النار، فإذا انحلت وصارت مثل الغراء فاعجنه بذلك الغراء، واجعله أقراصاً وجففه واستعمله[1]، وصفة المداد الصيني: تأخذ من دخان الحمص المنخول عشرة أواق، ومن الباقلاء المسحوقة ثلاثة أواق وتخلطها جميعاً بالسحق، وتصب عليها من ماء السلق وزن خمسة دراهم وخمسة دراهم ملحاً ووزن ثلاثة دراهم، تسحق الجميع سحقاً جيداً، وتتركه حتى يجف ويصير ذروراً، ثم تسحق له وزن ثلاثين درهماً صمغاً عربياً وثلاثة دراهم كثيراء فيبلاً بالماء وتعجن به الذي سحقت، وتجعل منه أقراصاً تجفف في الظل، وتضيف عليه إذا احتجت إليه بعد السحق ماء الصمغ، وصفة مداد يشبه مداد دخان الحمص: تؤخذ ظهور القراطيس فتقرَّب على النار وتُكب عليها جفنة لئلا تذهب قوّتها فيذهب سوادها، ثم يؤخذ هذا المحروق فيسحق، ويؤخذ ورق السلق من غير أضلاعه فيستخرج ماؤه ويجعل فيه من الصمغ والملح قدر الحاجة، ثم يغلى على النار حتى ينحلّ، وتُنزع رغوته شيئاً فشيئاً ويُرمى بها، ويجعل في طست وينخل عليه الرماد، ثم يعجن بالراحة أبداً ويدلَّك على رماد حار، تديم ذلك صدر النهار ثم ترفعه وتستعمله، فإنه يجيء جيداً، وصفة المداد المصري: تسرج فتيلة من زيت الفجل، وتأخذ فخارة مثل قدرة جديدة فتكبها على الفتيلة وترفعها عن الأرض مقدار ما يدخل الهواء، وتأخذ ما تعلق فيها من الدخان فتعمله كعمل دخان الحمص، وصفة مداد من دخان الحمص: يؤخذ دخان الحمص وينخل بمنخل شعر، ويؤخذ قدر راحتين منه وخمسة دراهم مداداً كوفياً يسحق سحقاً ناعماً، ثم يصيَّر مع الدخان في طست أو صينية، ويُنقع صمغ عربي يوماً وليلة، ثم يُدَقّ السلق ويؤخذ ماؤه ويصفي، ويؤخذ من ماء الصمغ جزآن ومن ماء السلق جزآن، فتُصَبّ على الدخان شيئاً فشيئاً وتجمعه بيدك، فإذا اجتمع تسوّيه على بلاطة وتتركه في الظل حتى يجف، وتمسح على وجهه بشيء من ماء السلق ثم ترفعه، فإن كان المداد كوفياً كما وصفت لك أولاً فَدُقَّه واغمره بالماء كما وصفت لك، واتركه يوماً وليلة حتى يرسب، ثم خذ الماء عنه وصب عليه ماءً جديداً، افعل به ذلك ثلاثة أيام حتى يخرج الماء صافياً، ويبقى التفل أسفل ويستعمل مع الدخان وغيره، وصفة مداد من دخان الحمص: تأخذ الدخان وتنخله في طست، وتدق ملحاً وصمغاً عربياً وزن درهمين لأوقيتين، تدق الصمغ العربي وتستخرج ماءه، ثم لا تزال به حتى يصير مثل الطين، ثم نرفعه بعد أن تجففه وتستعمله، وصفة مداد من القراطيس: يؤخذ المداد الفارسي الخفيف الذي إذا كسرته لم تر فيه طيناً ولا تراباً، فينقع في ماءٍ يوماً وليلة، ثم تصب ذلك الماء وتجففه، وينقع له صمغ عربي وزن درهم، وخمسة دراهم، مداداً يسحق ويعجن بماء الصمغ ويخلط بقراطيس محرَّقه منخولة وتحشى به الدواة حتى يجف، ويوضع فيها صوفة ويكتب به فيجيء مداداً صافياً براقاً حسناً أوله وآخره، وصفة مداد الكاغد: يؤخذ مداد فارسي جيد وصمغ عربي، من كل واحد جزء، ويدقّان ويعجنان بما العفص المصفي، وذلك أن تأخذ عشر عفصاتٍ كباراً فترضّها وتصب عليها نصف رطل ماء، فإذا أردت أن تكتب به مددته بماء العفص، وكلما جفّ المداد اسقه بماء وزاج فإنه لا يمحى ولا يترك الكاغد، فإذا أردت أن لا يقع عليه الذباب فزِدْ عليه جزءاً من شحم الحنظل، وصفة مداد كلخ: خذ كلخاً عربياً فاحرقه إحراقاً جيداً، ثم اسحقه سحقاً ناعماً في صلاية أو بلاطة بالماء، واجعل فيه صمغ القرظ واصنعه أقراصاً، وجففه في الظل وأذبه بماء الصمغ واكتب به فإنه يجيء حسناً، وصفة المداد الكوفي الآخر: خذ خرقاً فاحرقها واجعل عليها إجانة بعد ما تحرق، ثم اتركها يوماً وليلة حتى يبرد ما فيها، ودقه واعجنه بلبن ثم هيئه أقراصاً وجففه في الظل، واجعل عليه عند عجنك إياه صمغاً عربياً مبلولاً فإنه يجيء مداداً جيداً، وصفة المداد العراقي: تأخذ من المداد الكوفي ثلاثة أجزاء، ومن اللازورد جزء ومن اللك جزء، وتمزج الجميع في قارورة وتجعل فيها ليقة وتكتب به، وصفة مداد آخر زجاجي: خذ شيئاً من الزجاج واسحقه ناعماً واسقه الماء حتى يصير مثل العجين ثم اغسله حتى يذهب سواده ويخلص الزجاج، فاجعله في قارورة واسعة الفم، واجعل فيه شيئاً من صمغ عربي وخلّ خمر، وعلِّقه في الشمس سبعة أيام في الصيف أشد ما يكون الحر، وحرّكه كل يوم، وكلما جف اسقه خل الخمر، فإذا أردت أن تكتب به فحرِّك الزجاج واستمد بقلم النحاس واحفظ الإناء من الغبار، وصفة مداد آخر: تأخذ من المداد جزءاً، ومن الإسفيداج جزأين وتمزجهما وتكتب به، وصفة مداد رصاصي: تأخذ الإسفيداج الرصاصي وتعجنه بخلّ نظيف، وتجعله في قدر مطيّنة بطين الحكمة، واجعلها في أتون الزجاج الأعلى ثلاثة أيام، ثم اخرج ما فيها واسحقه وصبّ عليه خلاً وشيئاً من الصمغ واكتب به، وصفة مداد آخر: تأخذ أي دخان أردت فيسحق سحقاً ناعماً ثم يغربل بغربال صفيق ثم تأخذ ورق السلق فتعصر ماءه وتعجنه به عجناً جيداً حتى يصير مثل العجين اللين، وتجعل في كل أوقيتين من المداد خمسة دراهم من الصمغ العربي، وتجعل عليه شيئاً من صمغ القرظ، وتنضح عليه شيئاً من الخل، ويترك حتى يخمر ثم تدهن بلاطة بماء الكافور، ويبسط عليها حتى ينشف، ثم يعمل طوابع على قدر المراد، وصفة مداد القراطيس: تأخذ مداداً فارسياً وصمغاً عربياً من كل واحداً

[1] الصنهاجي، المُعِزّ بن بادِيس بن المنصور التَّميمي .(1409هـ). عُمْدَةُ الكُتّاب وعُدَّةُ ذوي الألباب(فيه صفة الخطّ والأقلام والمداد والليق والحبر والأصباغ وآلة التَّجْليد)، حقَّقه وقدم له نجيب مايل الهروي، عصام مكّية، ط1، إيران: مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ص34 - 36.

جزءاً، وقراطيس محرقة نصف جزء، فيدق ذلك وينخل ويعجن ببياض البيض ويتخذ منه بنادق، ويجفف ويجعل في الدواة ويكتب به فإنه مداد فائق السواد، وصفة مداد آخر: تأخذ جريد النخل اليابس فنقطعه مقدار إصبع ثم تجعله في قدر مكسورة وتدخلها في تنور أو فرن، وتخرجها من الغد وتسحق ما بها وتعجنه بماء صمغ وتكتب به، وصفة مداد أخرى: يؤخذ مداد فارسي جيد وصمغ عربي وعفص من كل واحد جزء وقراطيس محرقة نصف جزء، فيدق ذلك وينخل ويعجن ببياض البيض ويتخذ منه بنادق، ويجفف ويجعل في الدواة ويكتب به، فإنه مداد فائق، وصفة مداد يصنع للملوك خاصة: يؤخذ من دخان المَيْعَة المصعَّد ودخان السندروس ودخان اللادن مجتمعة أو متفرقة، ويكون لدخانها سواد عظيم، ويعمل أيضاً من دخان الزفت ودخان الكبريت مداد، وإن أردت أن لا تعفن الليقة التي في الدواة ولا يكون لها رائحة رديئة، خذ المداد فاجعله في إناء نظيف، ثم صب عليه ماءً صافياً قدر ما يغمره، ثم صَفِّه من مائه، ثم بدِّل له الماء ثلاثة أيام، ثم صَفِّه في الهاون وصب عليه ماء السلق ولبناً حليباً وشيئاً من ملح الطعام وصمغاً عربياً، ثم اضربه في الهاون حتى يصير مثل الغراء، ثم ارفعه لوقت الحاجة إليه، فإذا أردت أن تكتب به تحلّ منه شيئاً بماء وتكتب به[1].

استخدامات أخرى للمداد:

يوجد مداد مصنوع من خشب الصنوبر ثلثه من صمغ ويصلح للمراهم المعفنة وَحرق النَّار إِذا عجن بِالْمَاءِ ثخينا ولطخ وَلَا يُؤْخَذ حَتَّى يسْقط من نَفسه بِأَنَّهُ لَا يسقط حَتَّى يندمل، والمداد الهندي ينفع الأورام الحارة والنفخ وينقي الْجِرَاحَات، وَيصلح لعلاج لسعات العقرب[2].

المنشفة:

يُقالُ للصُّوفةِ والقُطنَةِ التي تكونُ في الدَّواة: لِيقة وتجمع أَلْيَاقاً، وإنَّما سُمِّيَت: لِيقة؛ لأنَّها تَحبِسُ ما جُعِلَ فيها من السواد وتُمسكُهُ، مأخوذ من قولهم: "فلانٌ ما تَليقُ كَفُّهُ دِرهَماً" أي: ما تحبسه فتمسكه، وكفٌّ ما يليقُ بها درهمٌ أي: ما تحبس ولا تستمسك، وأَلَقتُ الدَّواةَ فهي مُلاقَةٌ ولِقتُها فهي مَلِيقَةٌ إذا جمعتَ مِدادَها في صوفِها وقُطنِها، وقولهم: "ما يليقُ هذا الأمرُ بصَفَرِي" أي: قلبي أي ما يُمسكه ويجتمع فيه، ويُقالُ: لِقتُ الدَّواةَ وهي مَلِيقةٌ هذا إذا أصلحتَها وزدتَ في سَوادها، فأما إذا لم تكن فيها لِيقةٌ فجعلتَ فيها لِيقةٌ فألَقتَهَا بالألف لا غير وإذا أمرتَ من ألقت قُلتَ: أَلِقْ دَواتَكَ بقطع الألف إلاقَةً وأنتَ مُلِيقٌ، وإذا أمرتَ من قولك: "لقت" قلت: لِقِ الدَّواة ليقاً جيّداً وأنتَ لاقٍ وقد أَمَهتَ اللِّيقةَ أُمِيهُها إماهةً فأنا مُمِيهٌ لها إذا أكثرتَ ماءها وقد ماهَت فهي تماهُ وتموهُ وهي مائِهَةٌ إذا كثر ماؤها، ويُقالُ: صُفتُ الدَّواةَ أصُوفُها صَوفاً: إذا جعلتَ فيها ليقةً من صوف وكَرْسَفْتُها أُكَرسِفُها كرسفةً وكرساف إذا جعلتَ فيها لِيقة كُرْسُفٍ وهو القُطنُ[3].

---

[1] الصنهاجي، المُعِزّ بن باديس بن المنصور التَّميمي .(1409ه). عُمْدَةُ الكُتَّاب وعُدَّةُ ذوي الألباب(فيه صفة الخطّ والأقلام والمداد والليق والحبر والأصباغ وآلة التَّجْليد)، حقَّقه وقدم له نجيب مايل الهروي، عصام مكّيّة، ط1، إيران: مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ص37.

[2] الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا .(2002م). الحاوي في الطب، تحقيق هيثم خليفة طعيمي، ط1، ج6، بيروت: دار احياء التراث العربي، ص392.

[3] الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .(د.ت). رسالة الخط والقلم، (د.م: د.ن)، ص2.

- **انتهت الدراسة إلى النتائج التالية:**

- وجود فرق بين الخط المسند والخط العربي، وأن الخط العربي نشأ وتطور عبر مئات السنين في عدة مناطق من شبه الجزيرة العربية والعراق والشام متأثراً بأحرف اللغات الأخرى.

- وجود أثر لليهود في تعليم العرب الخط، وأن الخط العربي عُرف وانتشر في البيئة الصحراوية البدائية باعتبارها منطقة مرور للتجارة بين الجنوب والشمال.

- لم يُحدد بالضبط أول من كتب بالحرف العربي.

- تعددت أقلام الخط العربي وتطورت، وظهرت إشكالية في مسالة الرسم العثماني.

- اختلفت صورة الحركات بالخط العربي قبل التشكيل، ثم حُسم أمر النقط والشكل بالتدريج.

- اختلف ترتيب الحرف العربي في المشرق عنه في المغرب العربي.

- ظهرت عناية الملوك والأمراء بتطور الخط العربي ووجود مشاهير برعوا في رسمه وتنميقه.

- كان للخط العربي أثره في كتابة المصحف خاصة وحياة المسلمين عامة.

- كان للأمم الأخرى أثر ملموس في الخط العربي.

- أثر الخط العربي في كتابات وثقافة أمم عدة كالأمازيغية، الخط الحبشي، السواحيلية الزنجبارية والفارسية.

- كان لظهور المطابع العربية الحواسيب والتكنولوجيا أثرها على الحرف العربي.

- ظهرت دعوات لإصلاح الحرف العربي كانت وما زالت مثار جدل.

- تأثير الاحتلال الأجنبي على مُفردات اللغة المُستعملة في مصر وعُمان، من حيث إدخال عناصر من لُغاتهم الأصلية لمُفردات سادتهم ومن يتعاملون معهم.

- التأثير الواضح للعمالة الأسيوية والإفريقية والغربية على اللغة العربية؛ حتى أنهم اجبروا أصحاب البلد المُضيف على اللحن في لغتهم الأصلية بل واستعمال بعض مفردات تلك العمالة لكي يتواصلوا معهم.

- وجود سجلات ودفاتر إلى الآن تُستعمل من اليسار لليمين.

- عدم اكتراث كُتاب التصرفات القانونية والإدارية بالمحررات الرسمية باستعمال صحيح اللغة بل وعدم الاهتمام بقواعد وأصول البروتوكولات والقواعد الفقهية والإدارية.

- الوظائف ومسوغات التعيين كانت وما تزال تتطلب إجادة لُغات غير العربية.

- الكُتاب في الوثائق والسجلات يكتبون غالباً ما ينطقونه.

- كُتاب الوثائق في تلك المرحلة كانوا من أنصاف المُتعلمين أو الأجانب، أو الرقيق المُتعلم.

- انتشار ظاهرة نحت الكلمات في الوثائق والسجلات المصرية والعُمانية وتكوين كلمة واحدة من كلمتين او كلمة وضمير أو اسم إشارة... إلخ، واختصار كلمات ووصل كلمات أخرى مُشتركة في الحرف الأخير من الكلمة الأولى والحرف الأول من الكلمة الثانية.

- شيوع عدم استخدام المبني للمجهول، واستخدام الضمائر وأسماء الإشارة المفرد والجمع والمُذكر والمؤنث على غير قواعده.
- شيوع عدم استخدام علامات الترقيم، وقلة استخدام الشكل.
- شيوع استخدام المُفردات المصرية والعُمانية بالوثائق والسجلات.
- شيوع ظاهرة الاقتراض اللغوي في الوثائق والسجلات، بأن يستعير الكاتب لفظ أجنبي ويُجري عليه بعض التعديلات المُلائمة فينقلها إلى العربية في شكلها المُحرر أو المنطوق.
- كثرة استخدام الأدعية والاستعانة بالآيات القرآنية، واستخدام الألقاب العربية منها والدخيلة.
- استخدام الوثائق والسجلات المصرية الشهور القبطية والسريانية والإفرنجية بجانب العربية، واستخدمت الوثائق العُمانية الشهور الإفرنجية بجانب العربية.